ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١



العتبة العباسية المقدسة
الهيأة العليا لإحياء التراث

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق
تصدر عن مركز الشيخ الأنصاري قدس سره للدراسات والتحقيق

العدد العشرون، السنة العاشرة، شهر صفر ١٤٤٨هـ . آب ٢٠٢٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن مركز الشيخ الأنصاري قدس سره للدراسات والتحقيق

العدد العشرون

السنة العاشرة، شهر صفر ١٤٤٨هـ . آب ٢٠٢٦م

العتبة العباسيّة المقدّسة
الهيأة العليا لإحياء التراث
مركز الشيخ الأنصاري للدراسات والتحقيق

العتبة العباسيّة المقدّسة. الهيأة العليا لإحياء التراث. مركز الشيخ الأنصاريّ (قدس) للدراسات والتحقيق.
الخزانة : مجلّة علميّة نصف سنويّة تعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز الشيخ الأنصاريّ (قدس) للدراسات والتحقيق - كربلاء، العراق : العتبة العباسيّة المقدّسة، الهيأة العليا لإحياء التراث، مركز الشيخ الأنصاريّ (قدس) للدراسات والتحقيق، 1438 هـ . = 2017 -
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنويّة.- العدد العشرون، السنة العاشرة (آب 2026)-
تتضمّن إرجاعات ببليوجرافيّة.
النصّ باللغة العربيّة ومستخلصات باللغة العربيّة والإنجليزيّة.
ISSN: 2521 - 4586
1. المخطوطات -- الدوريات 2. الدوريات العربيّة--العراق. أ. العنوان.

LCC: Z115.1 .A8378 2026 NO. 20

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة

الترقيم الدوليّ ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م
كربلاء المقدّسة – جمهورية العراق
صندوق بريد: كربلاء المقدّسة (٢٣٣)

يمكن الإتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:
٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣
للاطلاع على إصدارات مجلة الخزانة ومتابعة جديدها، يُرجى مسح رمز QR أدناه:

سعر البيع
داخل العراق: 10$ - خارج العراق: 15$

الإشراف العام

سماحة السيّد أحمد الصافيّ

رئيس التحرير

السيّد ليث الموسويّ

مدير التحرير

محمّد محمّد حسن الوكيل

سكرتير التحرير

د. حسين هليب الشيبانيّ

هيأة التحرير

د. علي حبيب العيدانيّ (تدقيق اللغة العربية)

د. عمار محمود الكعبيّ (التنسيق والمتابعة)

د. مهدي مجتهديّ (التنسيق والمتابعة)

حسن عريبي الخالديّ (التنسيق والمتابعة)

الإخراج الفنيّ

علي حسين علوان التميميّ

الترجمة الأنكليزية

الشيخ حبيب آل زعتر / لبنان

الهيأة الاستشارية

الأستاذ المتّمرس الدكتور طارق عبد عون الجنابي (العراق)

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

الأستاذ المتّمرس نبيلة عبد المنعم (العراق)

مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين (المغرب)

مدير الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط

الأستاذ الدكتور سعيد عبد الحميد (مصر)

وزارة الآثار المصرية

الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بيّات (تركيا)

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)

الأستاذ الدكتور منذر علي المنذري (العراق)

كلية الآداب/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور وليد محمّد السراقبي (سوريا)

كلية الآداب/ جامعة حماة

الأستاذ الدكتور وليد محمود خالص (الأردن)

مجمع اللغة العربية /عمّان

الأستاذ الدكتور عباس هاني الچرّاخ (العراق)

مديرية التربية/ محافظة بابل

الأستاذ المساعد الدكتور علي فرج العامري (إيطاليا)

كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة ميلانو بيكوكا

مكتبة الأمبروزيانا/ ميلانو

شروط النشر

- تنشر المجلّة البحوث العلمية والدراسات المتعلّقة بالمخطوطات والوثائق، والنصوص المحقّقة، والمتابعات النقديّة الموضوعيّة لها.
- يلتزم الباحث بمقتضيات البحث العلميّ وشرائطه في الإفادة من المصادر والإحالة عليها، والأخذ بأدب البحث في المناقشة والنقد، وألّا يتضمّن البحث أو النصّ المحقّق مواضيع تثير نعرات طائفية أو حساسية معينة تجاه ديانة أو مذهب أو فرقة.
- أن يكون البحث غير منشور سابقاً، وليس مقدّماً إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهّد مستقل بذلك.
- يُكتب البحث بخط (Simplified Arabic) بحجم (١٦) في المتن، و(١٢) في الهامش، على أن لا يقل عن (٢٠) صفحة (A4).
- يُقدّم البحث أو النصّ المحقّق مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD)، على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا.
- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في صفحة مستقلّة ويضمّ عنوان البحث، وأن لا يزيد الملّخص على صفحة واحدة.
- تُراعى الأُصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة، بإثبات اسم المصدر، واسم المؤلّف، ورقم الجزء، ورقم الصفحة، مع مراعاة أن تكون الهوامش مرقّمة بشكل مستقل في كلّ صفحة.
- يزوّد البحث بقائمة المصادر بشكل مستقل عن البحث، وتتضمّن اسم المصدر أو المرجع أولاً، فاسم المؤلِّف، ويليه اسم المحقّق أو المُراجع أو المترجم في حال وجوده، ثم الطبعة، فدار النشر، ثم البلد الذي نُشر فيه، وأخيراً تاريخ النشر، ويُراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية.

- تخضع البحوث لبرنامج الاستلال العلمي ولتقويم سريّ لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد إلى أصحابها سواء قُبلت للنشر أم لم تُقبل، على وفق الضوابط الآتية:
- يُبلَّغ الباحث أو المحقّق بتسلّم المادة المرسلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
- يُبلَّغ أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعده المتوقّع خلال مدّة أقصاها شهران.
- البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحدّدة، ليعملوا على إعادة إعدادها نهائياً للنشر.
- البحوث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كلّ باحث أو محقّق نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، مع ثلاثة مستلات من المادة المنشورة، ومكافأة مالية.

تراعي المجلّة في أولويّة النشر:

١- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

٢- تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.

٣- تنوّع مادة البحوث كلّما أمكن ذلك.

- البحوث والدراسات المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- تُرتَّب البحوث على وفق أسس فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- يرسل المحقّق أو الباحث الذي لم يسبق له النشر في المجلّة موجزاً عن سيرته العلميّة، وعنوانه، وبريده الإلكتروني؛ لأغراض التعريف والتوثيق، على بريد المجلة الإلكتروني: Kh@hrc.iq
- لهيأة التحرير الحق في إجراء بعض التعديلات اللازمة على البحوث المقبولة للنشر.
- تنتخب هيأة التحرير البحوث المتميِّزة المنشورة في المجلَّة وتتكفّل بإعادة طباعتها بشكل مستقلّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَقدٌ مَضَىٰ وَالعَهدُ بَاقٍ

رئيس التحرير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ لكلّ عصرٍ أمانةً تُعرَض، ولكلِّ جيلٍ وديعةً يُمتحن في حفظها؛ وكانت وديعتنا تراثَ أمّةٍ خطّه العلماء بأقلامهم، وأودعوه صحائفهم، وتناقَلته الأيدي على كرِّ العصور، حتّى آل إلينا يحمل بين سطوره نفائسَ أعمارهم، وصفوةَ أفكارهم، وشهاداتٍ على زمانهم.

وما كان لوديعةٍ كهذه أنْ تُترك لمداولة الأيّام، ولا أنْ تُستودَع الرفوفَ حتّى يأكلها النسيان؛ فكان لا بدّ لها من يدٍ تتعاهدها، وعينٍ تتبيّن ذخائرها، وقلمٍ ينهض بحقّها. ومن هذا الشعور وُلدت «الخِزانة» قبل عشرة أعوام؛ لا لتُكثّر من الصحف، ولا لتزاحم المطبوعات بالعناوين، وإنّما لتسهم مع أبناء جلدتها في حفظ هذه الأمانة، ولتجعل من التراث المخطوط عِلمًا يُبصّر به، ونصًّا يُصان، وأثرًا يُستعاد.

وكان من لطف الله بهذه النشأة أنْ قيّض لها منذ مطلعها نفرًا من أعلام التراث، أحاطوها بعين الخبرة، وأمدّوها من حصيلة التجربة، وأقاموا لها من مشورتهم منارًا تهتدي به في مسيرها؛ فكان لهم في تأسيسها وتوجيه خطاها فضلٌ محفوظ، وفي صحائفها أثرٌ مشهود.

ثـمّ أخذت «الخِزانـة» طريقها، فجعلت همّها أنْ تنظـر إلى التراث لا بوصفه صفحـاتٍ عتيقـة، بـل علمًا له أصولـه، ونصوصًـا لهـا أمانتها؛ ففتحـت أبوابها لدراسـة التـراث ورجاله ومصنّفاتـه، ولتحقيـق النصوص وإقامـة ألفاظها على وجههـا، ولنقـد مـا كُتِب فيـه وتمييز صحيحـه من سـقيمه، وللتعريـف بخزائن المخطـوط وفهارسـها وكشّـافات مطبوعاتها، ولمـا يتّصل بالوثيقـة وصورتها وأخبارهـا، حتّـى اجتمعـت فيها أطـرافٌ من العلـم يعضد بعضهـا بعضًا.

ولـم تكـن عنايتهـا بالمخطـوط مقصـورةً علـى أنْ يُقرأ مـا فيه، بـل جاوزت ذلـك إلـى أنْ يُقـرأ هـو نفسـه؛ ورقُـه، ومـداده، وخطُّـه، وجلـده، وعلاماتـه، ومواضـع تداولـه، وآثـار أيـدي مالكيه، ومـا أحاط بـه من قرائن تكشـف عصره ومصـدره ورحلتـه. فالمخطـوط عندهـا ليس متنًا فحسـب، بـل شـاهدًا مكتوبًا علـى حياة العلـم، وكلّ أثرٍ فيـه قد يكون مفتاحًـا إلى حقيقةٍ غابـت عن القارئ.

ولـم تُقـم «الخِزانة» صرحهـا على ثـرى العراق لتجعـل منه حـدًّا لمدادها، فالتـراث أوسـع مـن أنْ تحصره الحـدود، وأبقـى مـن أنْ تسـتوعبه الأوطـان؛ فخرجـت صفحاتهـا مـن العـراق إلـى رحـاب المـشرق والمغـرب، ووصلت مـا بيـن أقصى البـلاد وأدناهـا، واسـتنطقت من أرض فـارس أقلامًـا، وأبحرت فـي الخليـج العربـيّ تحمل إلـى قرّائها نفائـس ما حفظـت خزائنه من آثـار، ثمّ عبـرت البحـار، وهاجـرت صفحاتهـا إلـى أوروبـا، فعـادت منها بنفحـاتٍ من تـراثٍ مهاجـرٍ، وآثـارٍ حملتها أقـلام المغتربيـن بعيدًا عـن مواطنهـا الأولى.

ولـم يكـن القديـم مـن المـكان بمنـأى عـن اهتماماتهـا؛ فشـدّت رحالهـا إلـى الأندلـس، لا بأقـدام المسـافرين، ولكـن بأجنحـة الكتـب وآثـار العلماء، فجالـت فـي رحاب قـصر الحمـراء، واسـتنطقت جدرانـه، ووثّقت مـا بقي فيه مـن شـواهد الحضـارة الإسـلاميّة، لتقـول: إنّ التـراث وإنْ تفرّقـت أوطانـه، فموطنـه كلُّ أرضٍ بقـي فيهـا أثـرٌ مـن علـمٍ، أو شـاهدٌ مـن حضارة.

وهكـذا غـدت «الخِزانـة» على مـدى عقدها جـسرًا تعبر عليه آثار المـشرق

إلى المغرب، وتعود عبره نفحات المغرب إلى المشرق؛ تتعدّد الأوطان في صفحاتها، وتتآلف اللغات في رحابها، ويبقى الجامع بينها ذلك الإرث الذي لا تحدّه حدود.

وهنا، وفي تمام العقد الأوّل، لا تقف «الخِزانة» لتقول: كم عددًا أصدرنا؟ ولا كم بحثًا نشرنا؟ فالأعداد تُحصى، والأوراق تُعدّ، وإنّما الذي يستحقّ أنْ يُسأل عنه ماذا أضفنا إلى ما كان؟ وماذا حفظنا ممّا كان يوشك أنْ يُنسى؟

إنّ التراث لا يطلبُ من أهله أنْ يُعجبوا به، وإنّما يطلبُ أنْ يؤدّوا حقّه.

وحقّه أنْ يُطلَب بتؤدةٍ، ويُقرَأ بأناةٍ، ويُحقَّق بعلمٍ، ويُنقَد بعدلٍ، ويُنسَب بأمانةٍ، ويُصان من عبث المتعجّلين. و ليس المحقِّق مَن أكثر الحواشي، ولا مَن أطال المقدّمات، وإنّما مَن عرف للنصّ قدره، وحفظ للمؤلِّف حقّه، وأوصل للقارئ أمانته.

وفي عصرٍ فترت فيه الهمم عن طول النفَس، واستثقل بعض الناس مشقّةَ التتبّع، وأصبح الوصول إلى المعلومة أيسر من الوصول إلى حقيقتها، تأتي «الخِزانة» لتقول لأهل هذا الشأن: إنّ خدمةَ التراث ليست طريقًا قصيرًا، ولا ثمرةً تُقطف بالعجلة؛ إنّها صحبةٌ طويلةٌ مع الكتب، وملازمةٌ للمصادر، وصبرٌ على اختلاف النسخ، وتعبٌ في استنطاق الورق، وتواضعٌ أمام النصّ.

ويبقى من عمل الباحث ما أحكمه، لا ما أكثره؛ ومن أثر المحقِّق ما صحّحه، لا ما ضخّمه؛ ومن فضل صاحب الصنعة أنْ يترك للنصّ أمانته، وللتاريخ حقيقته، ولمَن يأتي بعده سبيلًا واضحًا.

واليوم، إذ تبلغ «الخِزانة» عامها العاشر، ويبلغ مسيرها عشرين عددًا، فإنّها لا تطوي صفحةً من الماضي، بل تجدّد صفحةً من العهد؛ عهدٌ مع

المخطوط ألّا يُهمل، ومع النصّ ألّا يُحرّف، ومع العالم ألّا يُنسى، ومع الباحث ألّا يُغرى بالشهرة على حساب الأمانة.

وإنْ كان لنا بعد عشر سنين أنْ نستبشر، فليس بما مضى وحده، بل بما لم يُنجز بعد؛ فما زالت في خزائن الأمّة صحائفُ لم تُقرأ، وأسماءٌ لم تُعرّف، وكتبٌ لم تُستنطق، ونصوصٌ تنتظر مَن يردّ إليها وجهها الأوّل.

وفي الختام، فلكلِّ مَن أعان على بلوغ هذه الغاية، من مستشارٍ أسدى رأيًا، وباحثٍ بذل جهدًا، ومراجعٍ أعمل نظره، ومحقِّقٍ أمعن في ضبط نصّه، ومدقِّقٍ صان عبارته، ومَن أخرج العدد إلى صورته، جزيلُ الشكر، وصادق الدعاء؛ فما قامت هذه الصفحات على قلمٍ واحد، ولا بلغت هذا المبلغ بجهدٍ منفرد.

فنسأل الله أنْ يبقي «الخِزانة» خزانةَ علمٍ لا خزانةَ ورق، وأنْ يحفظ بها ما بقي من آثار العلماء، وأنْ يهيّئ لهذا التراث في كلّ عصرٍ رجالًا يعرفون قدر الأمانة قبل قدر الشهرة، وأنْ يرزق القائمين عليها صدق القصد، وتوفيق العمل، وحسن الجزاء.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا.

المحتويات

الباب الأول: دراسات تراثية

٢١	صُورَةُ أَمِيرِ المُؤمنِين عليّ عليه السلام فِي كتابِ الفِهرِست لِمُحَمّدِ بنِ إسحاقِ النّديم	د. مهدي مجتهدي أستاذ مساعد في تاريخ وحضارة المجتمعات المسلمة، جامعة فردوسي - مشهد. ليلى عبدي طالبة دكتوراه في تاريخ وحضارة المجتمعات المسلمة، جامعة فردوسي - مشهد. إيران
٤٩	كِتابُ إثبْات الرَّجعَةِ للفَضْلِ بنِ شَاذَان (ت٢٦٠هـ) رِسَالةٌ فِي مُناقَشة صِحَّة نسبَة الأَخبار المَنسُوبَة إلى كِتاب إثبات الرّجعَة للفَضل بنِ شاذان	الشيخ حسن يوسف بن نخي الحوزة العلميّة في النجف الأشرف العراق
١٣٩	العَبِيدُ فِي الصَحرَاءِ الإسْبَانِيَّة نَظرَةٌ وَثَائِقيَّةٌ	د. علي عدنان آل طعمة جامعة أوترخت هولندا
١٩٣	النُّقُوشُ الشِّعرِيَّةُ الأَنْدُلُسِيّةُ فِي قُصورِ الحَمراء بغرناطَة الإسبَانيّة تأليف: الدكتور مرتضى كمال حريجه	عرض: د. صبيح صادق كلية الفلسفة والآداب، جامعة أوتونوما، دي مدريد إسبانيا
٢٢١	دِرَاسَةٌ كُودِيكُولُوجِيّةٌ لِمَخطُوطِ مُدوّنةِ الإمَامِ مَالِكٍ المَكتُوبِ عَلَى الرَّقِّ (كرّاساتُ المَخطُوطِ أنمُوذجًا)	د. أحمد عطية كبير الباحثين بمركز المخطوطات- مكتبة الإسكندريّة مصر
٢٦٧	السَّيِّد هَادِي مُحمّد مَهدِي آل طُعمَة وآثارُهُ فِي خِدمَةِ التُّرَاثِ الإسْلَامِيّ (١٣٢٣ - ١٣٩٦هـ) (١٩٠٥ – ١٩٧٦م)	د. سلمان هادي آل طعمة باحث تراثي العراق

الباب الثاني: نصوص محقّقة

٢٩٩	مُنْتَهَى الشَّرَف في فَضَائِل الكُوفَة وَالنَّجَف. أرجُوزَتَان: (دُرّة الصَّدَف في فَضَائِل النَّجَف وَ الجَوَاهِر المَصْفُوفَةُ في فَضَائِل الكُوفَة) نظم: الدّكتُور حُسَين عَليّ مَحفُوظ	تحقيق مقدام راتب المفرجيّ مؤسسة الوافي للتوثيق والدراسات العراق
٣٤٩	مِن إجَازَاتِ العُلَمَاءِ للسَّيّدِ مُحمّدِ إبراهيمَ ابنِ دلدار عَليٍّ النَقويِّ اللكهنويِّ(ت١٣٠٧هـ)	تحقيق: السيّد ميثم مهديّ الخطيب رحمه الله مركز الشيخ الأنصاريّ قدس سره للدراسات والتحقيق العراق

الباب الثالث: نقد النتاج التراثي

٤١٣	تَحقِيقُ كِتَابِ الفُتُوح لابنِ أعثَم الكُوفِيِّ عَلَى نُسخَةٍ خَطِّيةٍ مِنَ القَرنِ الخَامِسِ الهِجرِيّ دِرَاسَةٌ وصَفِيّةٌ	مونيكا شونليبر معهد ابن سينا للدراسات الشرق أوسطية - المجر ترجمة: الشيخ حبيب زعتر

الباب الرابع: فهارس المخطوطات وكشّافات المطبوعات

٤٣٣	بِبلِيوغْرَافِيَا النُّصُوصِ المُحَقَّقَةِ فِي الرَّسَائِلِ وَالأَطَارِيحِ فِي الجَامِعَاتِ العِرَاقِيَّةِ مِنْ سَنَةِ (١٩٦٦م-٢٠٢٥م) القسم الثاني	علي عدّاي الحسناويّ مركز الشيخ الأنصاريّ قدس سره للدراسات والتحقيق العراق

٥٠١	الـمُتَبَقّي مِـن مَكتَبَـةِ السَّـيِّدِ الحُسَـينِ آلِ بَحرِ العُلُوم تَعريفٌ بِها و بصاحِبِها	محمّد جاسم الموسويّ مركـز تصوير المخطوطات وفهرسـتها في العتبة العباسيّة المقدّسة العراق

الباب الخامس: أخبار التراث

٥٨٣	مِن أَخبَارِ التُّراث	هيأة التحرير

العَبِيدُ فِي الصَحرَاءِ الإسْبَانِيَّةِ
نَظرَةٌ وَثَائِقِيَّةٌ

Slaves in the Spanish Sahara:
A Documentary Perspective

د. علي عدنان آل طعمة

جامعة أوترخت

هولندا

Dr. Ali Adnan Al Tuma

Utrecht University

Netherlands

الملخّص[١]

تلقي هذه الدراسة نظرة وثائقية على حالة العبيد في مناطق السيطرة الإسبانية في الصحراء وإفني بين الثلاثينات والخمسينات من القرن العشرين، مركزة على سياسة الدولة الإسبانية المتذبذبة تجاه الرق وتجارته من جهة، واجتهاد عدد من العبيد لتحسين أوضاعهم أو الخلاص من استعبادهم من جهة أخرى.

(١) هذا البحث جزء من مشروع SlaveVoices (أصوات العبيد) بتمويل من المجلس الأوربيّ للبحوث ERC ضمن برنامج Horizon 2020 التابع للاتحاد الأوربيّ (رقم المنحة ٨١٩٣٥٣)، وتمت إدارة هذا المشروع في قسم التاريخ بمعهد العلوم السياسية بباريس SciencesPo تحت إشراف البروفيسور محمد الوالدي.

والباحث علي عدنان آل طعمة: دكتوراه في التاريخ من جامعة ليدن بهولندا. عمل سابقاً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو بين عامي ٢٠١٧-٢٠١٩. يعمل حالياً بصفه زميل باحث في قسم التاريخ بجامعة أوترخت الهولندية، وعمل بصفة زميل في معهد العلوم السياسية بباريس بين ٢٠٢٠-٢٠٢٢م حين جمع البيانات الخاصة بهذا البحث.

Abstract[1]

Drawing on documentary sources, this study examines the condition of enslaved populations in the Spanish-held territories of the Western Sahara during the 1930s and 1950s. It charts, on the one hand, the vacillating policies of the Spanish state toward slavery and the slave trade, and on the other, the various initiatives taken by enslaved individuals to improve their position or to escape marginalisation altogether.

(1) This research forms part of the SlaveVoices project, which has received funding from the European Research Council (ERC) under the European Union's Horizon 2020 research and innovation programme (grant agreement no. 819353). The project was based in the Department of History at Sciences Po, Paris, and directed by Professor Mohamed El Wali.

The author, Ali Adnan Al-Tu'ma, holds a PhD in History from Leiden University. He previously worked at the United Nations University in Tokyo (2017–2019) and is currently a Research Fellow in the Department of History at Ontork University. Between 2020 and 2021, he was affiliated with Sciences Po, Paris, where he carried out the archival data collection for this study.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة:

عبيد في بلد أوروبي.

في سبتمبر من العام ١٩٤٨م وفي ما كان يُعرف بالصحراء الإسبانية الواقعة إلى الجنوب من منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب، وإلى الشمال من موريتانيا وإلى الغرب من الجزائر، فرّت امرأة عبدة تُدعى (أمّ البركة) من مالكها أحمد بابا باتجاه عيون درعة في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب.

هذا الحدث تخبرنا به وثيقة إسبانية حُرّرت في أكتوبر من العام نفسه[١]، وفقاً للتقرير الإسباني فإنّ (أمّ البركة) كانت تقطن بين أفراد عشيرة إيزاركين، وهي فخذ من قبيلة تكنة القاطنة شمال الصحراء الإسبانية، وفرار (أم البركة) وقع بعد تعرّضها لضرب من قبل مالكها أحمد بابا الذي ملكها لعدة سنوات.

عند هذه القصة – التي سنعود إلى تتمتها لاحقاً - يتوقف المرء عند حقيقة أنه برغم مرور ستة عقود على منع إسبانيا للعبودية في مستعمراتها بالقارة الأمريكية، ورغم توقيعها على معاهدات لمكافحة تجارة الرقّ[٢]، فإنّ ملكيّة العبيد في الصحراء

(١) تقرير بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٤٨م رقم (٩٧) صادر من المكتب الإسباني بالطان طان. ينظر (أرشيف الإدارة العام الإسبانيّ Archivo General de la Administración, África, Caja 81.14522, 1687 bis). المادة التاريخية المستفاد منها في هذا الدراسة والعائدة إلى أرشيف الإدارة العام الإسباني (الذي سنختصره بـ AGA) مبوبة ضمن شعبة (أفريقيا) África (المُختصرة بـ Af) يليها رقم العُلبة (Caja)، وقد يُذكر رقم المصنف أو السجل (Legajo) ورقم الملف (Expediente) وهو المصطلح المُختصر بـ (Exp). وتعود بعض العُلب إلى شعبة الصحراء ويسبق أرقامها حرف S وهو اختصار لـ (Sáhara) أي الصحراء.

(٢) ألغت إسبانيا العبودية في بويرتو ريكو في العام١٨٧٣م، وفي كوبا في العام ١٨٨٦م، ينظر في جريدة مدريد الرسمية Gaceta de Madrid العدد ٨٢ بتاريخ ٢٣ مارس ١٨٧٣م، والعدد ٢٨١ بتاريخ ٨ أكتوبر ١٨٨٦م.

الإسبانية – التي تحولت في الخمسينات إلى محافظة إسبانية إسوةً بغيرها في القارة الأوروبية - كانت أمراً واقعاً منذ بسط الإسبان سيطرتهم الفعلية على الصحراء في العام ١٩٣٤م حتى خروجهم منها في العام ١٩٧٥م، وإنْ كان نطاق هذه العبودية وتجارتها وشكلها الظاهريّ قد مرّ بتغيّرات في هذه الحقبة، بل إنّ المرء قد يتفاجأ أنه حتى حين تحوّلت الصحراء إلى محافظة إسبانية إسوةً بغيرها في القارة الأوربية وأصبحت ذات تمثيل برلمانيّ فإنّ أحد وجهاء الصحراء أصبح نائباً عن المنطقة في البرلمان الإسبانيّ في ذات الوقت الذي كان يمتلك فيه عبيداً [١].

عودة إلى (أمّ البركة) التي تشكّل حالتها مثالاً على سياسة إسبانيا تجاه العبودية وموقع العبيد في الوثائق الإسبانية، فالتقرير الإسبانيّ يصفها بأنها morena (سمراء) من أصل موريتانيّ، وفي السنوات السابقة كانت التقارير الإسبانية تصفها على الأغلب بمصطلح negra (سوداء).

هذه المرأة السوداء مثل جميع الشخصيات الرئيسية السوداء في الحالات المدروسة في أدناه، وجدت نفسها في ما كان يُعرف باسم (تراب البيضان)، ويشير هذا المصطلح إلى مساحة جغرافية واجتماعية وثقافية شملت أراضي الصحراء الإسبانية وموريتانيا وأجزاء من جنوب المغرب، إضافةً إلى أجزاء من مالي وجنوب الجزائر.

يشير مصطلح البيضان في الأصل إلى العرب والبربر الأمازيغ ولونهم الأبيض على عكس مصطلح السودان الذي كان يشير إلى السود ولون بشرتهم وكذلك أراضيهم الواقعة جنوب الصحراء، لكن مصطلح البيضان تطوّر ليشير إلى المتحدّثين باللهجة

(١) وهو خطري ولد سعيد الجمانيّ، ويُعدّ في المغرب أحد العوامل المهمة في تحرير الصحراء من إسبانيا، كما أنه ممّن دعم ضمّ الصحراء للمغرب رغم موالاته السابقة للإسبان، يروي دي دالماسيس كيف حاول أتباع الجمانيّ في الستينات الاستحواذ على زوجة وأطفال فرّاش مدرسة في تيشلا، وهو رجل حرّ، بداعي أنّ مالك زوجته وأطفاله قد أهداهم لخطري، وأمام مناشدات الزوج رفض مندوب الحكومة الإسبانيّ محاولة الاستحواذ على العائلة، وكادت المواجهة أنْ تتصاعد. (تنظر التفاصيل في: La esclavitud en el Sáhara occidental, Pablo-Ignacion de Dal-mases:94-111).

الحسّانية[١] الذين كانوا أحراراً[٢]، ولا يزال المصطلح يعني في الغالب الأشخاص من أصل عربيّ وبربـريّ (أمازيغيّ).

وكان استخدام الإسبان لمصطلح (المورو) يعني إلى حدّ كبير هؤلاء (البيضان)، فكان مصطلح «moro» امتداداً لاستخدامه للإشارة إلى المسلمين في شمال إفريقيا بشكل عام، بينما تطوّر مصطلح السودان بين سكان هذه المنطقة ليشير إلى المتحدّثين بالحسّانية سواءً كانوا عبيداً أو عبيداً سابقين أو ينحدرون من سلالة عبيد.

كانت (أمّ البركة) واحدة من هؤلاء، وفي الصحراء الإسبانية على خلاف مناطق مجاورة أخرى فإنّ البيضان كانوا يهيمنون على التركيبة السكانية، إلا أنّ التمييز بين البيض والسود لم يكن دائماً جلياً أو مستنداً على لون البشرة بشكل كامل كما قد يعتقد بعضهم، بل إنّ السواد أحياناً كان يعتمد على السلالة من جهة الأب كما يخبرنا بذلك دي دالماسيس[٣]، ولاحظت كاراتيني أنه عند الرقيبات يمكن لبعض السود أنْ يُعدّوا (بيضاً) إذا كان الأب كذلك، في حين يمكن عدّ بعض (البيض) سوداً إذا كانوا عبيداً أو عبيداً محرّرين[٤].

اشترى أحمد بابا (أمَّ البركة) قبل تاريخ التقرير السابق الذكر بأربع سنوات، وهو ما أقرّ هو به، وذلك في مدينة السمارة في النصف الشمالي من الصحراء الإسبانية، ودفع ثمناً لها سبعة جمال تتراوح من نوق حوامل إلى جمال يافعة، إضافةً إلى (١٠٠) بيسيتا إسبانية وزوج نعل (بابوش) وجلد خروف، وبعد فرار (أمّ البركة) (الذي بدأنا به هذا السرد)، قام أحمد بابا بملاحقتها صوب المنطقة الفرنسية، ثم ظهر أمام قاضٍ شرعيّ

(١) الحسانية لهجة عربية مغاربية يُنطق بها في أجزاء من الجزائر والمغرب وموريتانيا ومالي والسنغال والنيجر وما يُعرف بالصحراء الغربية، وتُنسب إلى بني حسّان الذين هاجروا إلى هذه المناطق من الجزيرة العربية بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين.

(٢) ينظر (Arenas coloniales: Los Awlad Dalim ante la colonización franco-española del Sáhara, Alberto López Bargados: 115-116).

(٣) ينظر (La esclavitud en el Sáhara occidental: 62)

(٤) ينظر (Des chameliers a la conquête d'un territoire, Vol.١.Les Rgaybat (1610-1934). Sophie Caratini: 20)

فـي كويلميـم[١] وزعـم أمامـه – مكرراً هذا الزعم أمام الإسـبان - أنه تزوجهـا بعد عام من شـرائه إياها، ومن هذا الزواج وُلدت له ابنة، وقد نفى أحمد بابا للإسـبان إسـاءة معاملته لهـا قائـلاً إنـه (لـم يضربهـا إلّا مرتيـن) طـوال المـدّة التي عاشـتها معـه، وأنه لـم يضربها مؤخـراً، أمّـا الجـراح التـي أُصيبت بها (أمّ البركـة) وابنتها فكانت - حسـب ادّعائه - نتيجة سـقوط الأم وهـي تحمـل ابنتهـا علـى ظهرهـا، إلّا أنّ (أمّ البركـة) نفـت كلّ شـيء؛ نفـت الزواج، ونفت نسـبة الابنة إليه، كما نفت حسـن معاملته إياها، وفي المقابل ادّعت أنها رفضـت الأعمـال المنزليـة الشـاقة التي كان يُكرههـا عليها؛ لأنها كانت تعاني من مشـكلة فـي البصـر، وعنـد رفضها ضربها ضرباً مبرحاً بعصا، ثم ألقى عليها حجـراً أصابت إحداها ابنتهـا، وخشـية مـن مزيد من الضرب هربـت (أمّ البركة) نحو النقطة الفرنسـية.

حيـن طالـب أحمـد بابـا بها عند الفرنسـيين أحـال هـؤلاء الموضوع للقاضي المسـلم فـي كويلميـم، وتعهـد أحمد بابا أمام القاضي بمعاملتها معاملـة (أعزّ زوجاته)، لكن أمام رفـض (أمّ البركـة) العـودة قرّر الفرنسـيّون أنّ الأمر من تخصّص الإسـبان، وأرسـلوا الاثنين إلـى النقطـة الإسـبانية في الطان طان[٢]، ولـم تكتفِ عندها (أمّ البركـة) بنفي زواجها به، بـل زعمـت أنّ أحمـد بابا نفسـه نفى هـذا الزواج أمام الفرنسـيّين، أمّـا التصريح الذي قد يصـدم القـارئ هـو قولهـا بأنّ الابنة لم تكـن ابنته، وأنه كان ينوي بيعهـا، وأنّ الفتاة ثمرة علاقـات أقامتهـا مـع عـدة رعاة، وهـو اعتراف جـريء خاصّة فـي مجتمع محافـظ، لكنها يبدو أنها كانت مسـتعدّة لفعل أيّ شـيء للخلاص من مالكها، وربما كانت مسـتعدّة حتى لتـرك طفلتهـا للخـلاص منـه، رغـم أنّ التقريـر لا يخبرنا عن مصيـر الطفلة، وأمـام انعدام دليـل علـى الـزواج ونظـراً لما عـدّه التقرير الإسـبانيّ تناقضـات في تصريحـات أحمد بابا قرّر الإسـبان فصلها عنه وأرسـلوها إلى طرفاية[٣] مع بعض النقود إلى أنْ تجد (أمّ البركة) وسـيلة أخرى للعيـش أو العمل.

(١) إلـى الجنـوب الغربـي مـن المغرب، وهـي الآن عاصمة جهة كلميـم واد نون، تبعد مـا يزيد على ١٩٠ كم عـن أغادير.

(٢) تقع حالياً في جهة كلميم واد نون، وهي ثاني أكبر مدينة بعد عاصمة هذه الجهة كلميم.

(٣) تقع آنذاك في منطقة الحماية الإسبانية لكابو جوبي (رأس جوبي).

الغرض من هذا البحث هو تقديم نظرة وثائقية عن العبيد، كـ(أمّ البركة)، والعبودية في الصحراء الإسبانية ابتداءً من الثلاثينات وبشكل خاصّ في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، وذلك فيما يتعلّق بكلّ من تجارتهم، ووضعهم بوصفهم أفراداً داخل القبائل الصحراوية، وسياسة السلطة الإسبانية الحاكمة تجاه الاستعباد بين المثالية والبراغماتية، كما سيركّز البحث بشكل أخصّ على أشكال مقاومة بعض هؤلاء العبيد تجاه إساءة معاملتهم وعلى محاولاتهم نيل حريتهم، وسنستعرّض بشكل مختصر تاريخ الوجود الإسبانيّ وأهم الدراسات السابقة - قليلة العدد - عن الرقّ في الصحراء الإسبانية.

أمّا حصر الدراسة الوثائقية بالمدّة المذكورة فيرجع إلى القيود التي تفرضها وجود المادة الوثائقية التي تنعدم – إلى حدّ ما وصل إليه الباحثون حتى الآن – بعد هذه المدة، وقد يعود هذا إلى تجنب الإدارة الإسبانيّة في مراسلاتها الرسمية الحديث صراحةً عن العبيد حتى ولو بمصطلحات مُبهمة، أو ربّما تضاؤل أعداد العبيد بسبب جفاف المنابع الخارجية لجلبهم وخاصّة من موريتانيا، ومن ثمّ تضاؤل الأحداث من نزاعات أو فرار أو جرائم متعلّقة بالعبيد، لكن هذا لا يعني انعدام وجود مصادر وإنْ كانت قليلةً عن العبيد في المُدد الممتدة من الستينات إلى السبعينات وخاصّة من مذكرات بعض الأفراد؛ واحدة منها كانت للكاتبة والرحّالة التايوانية (سان ماو) التي قطنت مع زوجها الإسبانيّ في الصحراء الإسبانيّة في بداية السبعينات من القرن العشرين، واشتكت يوماً في مبنى المحكمة عند أحد المسؤولين الإسبان قائلةً له: «سيدي السكرتير، من المثير للإعجاب حقاً أنكم تسمحون علناً بالاستعباد في مستعمرة إسبانية»، فأجابها السكرتير بتنهيدة موضحاً: «ومن يريد أنْ يتدخل في شؤونهم؟ [أي شؤون الأهالي] إننا نخشى منهم إلى حدّ الموت»[1].

(1) Stories of the Sahara, Sanmao: (229).

إسبانيا في الصحراء:

المساحة السياسية والإدارية التي تغطيها هذه الدراسة تشمل إقليم إفني[١] الذي كان يُعدّ منطقة سيادة إسبانية محاطة بمنطقة الحماية الفرنسية بالمغرب، وإقليم كابو جوبي إلى الجنوب وهو رسمياً يتبع المغرب و إدارته إسبانيّة بوصفه جزءاً من منطقة حمايتها للمغرب، فضلاً عن منطقتي السيادة الإسبانية في الصحراء وهما الساقية الحمراء ووادي الذهب. أمّا ثقافياً واجتماعياً فهذه الأرض (وامتدادها باتجاه موريتانيا وقسم من الجزائر الغربيّ) فكانت تُدعى بتراب البيضان كما ذكرنا سابقاً.

يعود الوجود الإسبانيّ الحديث في الصحراء إلى مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥م) الذي منح إسبانيا الاعتراف بادّعاءاتها في إفني، وكابو جوبي، ووادي الذهب، والساقية الحمراء، وكان أول إنزال لإسبانيا في ١٨٨٤م[٢]، واقتصر وجود الإسبان في البدء على

(١) تدور الأحداث الواردة في هذا المقال في الصحراء الإسبانيّة وإفني، ويشير مصطلح الصحراء الإسبانية هنا إلى المناطق الإدارية الثلاث: كابو جوبي (رأس جوبي)، والساقية الحمراء، وريو دي أورو (وادي الذهب)، وكانت تقع إلى الجنوب الغربيّ من منطقة الحماية الفرنسيّة في المغرب وعلى الساحل الأطلسيّ الممتد بين جنوب المغرب وموريتانيا، وكانت منطقة إفني قطّاعاً محاطاً من جهة البرّ بمنطقة الحماية الفرنسيّة في المغرب، ويحاذيه المحيط الأطلسي غرباً، وفي حين كانت إفني والساقية الحمراء ووادي الذهب تُعدّ في ذلك الوقت أراضي خاضعة للسيادة الإسبانيّة، فإنّ كابو جوبي كانت جزءاً رسمياً من المحمّية الإسبانيّة في المغرب، أي كانت سيادياً أرضاً مغربيّة من الناحية الرسمية في عام ١٩٤٦م، في الوقت الذي تدور فيه معظم قصص هروب العبيد هنا، كانت الأراضي التي تنتمي رسمياً إلى إسبانيا تضم ٤١,١١٤ نسمة في إفني (الأصغر من حيث المساحة البالغة ١٧٠٠ كم مربع)، و ٢٤,١٠٥ نسمة في وادي الذهب (التي كانت بمساحة ١٨٥,٠٠٠ كم مربع هي أكبر المناطق الإدارية الإسبانية وأكثر من عشرة أضعاف حجم إفني)، و ١١,٠٣٧ نسمة في الساقية الحمراء (وبلغت مساحتها ٨٢,٠٠٠كم مربع)، وإلى هذه المناطق تعود مدن مثل سيدي إفني والطان طان وطرفاية والداخلة والسمارة والعيون، إلخ. ينظر (Algo sobre Río de Oro, Ángel Doménech Lafuente: 124).

(٢) Ifni y Sáhara: Una encrucijada en la historia de España, Mariano Fernández-Aceytuno) نسخة Kindle الرقمية، الموقع ٢.

بعض النقاط العسكرية على الساحل وبعض المعامل ومراكز صيد السمك ومعالجتها[١]، لكن هذا الوجود افتقر إلى دعم قويّ بالموارد المالية والبشرية، الأمر الذي أبعد وجود الإسبان عن الداخل.

هذا فضلاً عن حركة المقاومة التي قادها الشيخ الصحراويّ ماء العينين وأبناؤه ضد التغلغل الأوربيّ وبشكل خاص ضدّ الفرنسيين، مثلما أنه لم يكن هناك اهتمام سياسيّ كبير عند الجمهور الإسبانيّ بالصحراء على عكس الأهمية التي أُعطيت لشمال المغرب[٢].

وكان تأخر التغلغل الإسبانيّ وضعف جانب الإكراه العسكريّ فيه يعني أنّ الصحراويّين بشكل عام تعاملوا مع الإسبان بوصفهم تجاراً وجيراناً أكثر من كونهم غزاة، وهذا الجو ساعد الإسبان على اجتذاب عدد من شيوخ القبائل ورجال الدين[٣]، وكان للضابط فرانثيسكو بينز دورٌ كبيرٌ في هذا؛ إذ جال الصحراء لعشرين عاماً يبني فيها شبكة علاقات ودّية مع القبائل، مهيّئاً الأرضية لبسط نفوذ إسبانيا[٤].

---

(١) (Ifni y Sáhara: Una encrucijada)، نسخة Kindle الرقمية، مواقع ١٥٢١، ٢٤٦٠، ٤٣٢٠.

(٢) مع ذلك، أصبحت المنطقة خلال الحقبة الجمهورية منفى بالنسبة لغير المرغوب فيهم سياسياً. (ينظر محاضرة راموس تشاركو المحفوظة في الأرشيف العسكري بمدريد:
(Ramos Charco, Visión retrospectiva del Territorio de Río de Oro, 4-5. Archivo General Militar, SHM, 135/21-Rollo1..)

يجب أنْ يعزى جزء من نقص الموارد في الصحراء إلى حرب الريف في العشرينيات من القرن الماضي التي لم تبنِ فقط مسيرة العديد من الضباط البارزين مثل الجنرال فرانكو نفسه الذي حكم إسبانيا بين ١٩٣٩-١٩٧٥، بل استهلكت أيضاً الكثير من رأس المال السياسيّ والاقتصاديّ الإسبانيّ، علاوة على ذلك، فبعد الحرب الأهلية المدمرة (١٩٣٦-١٩٣٩) والعزلة الاقتصادية التي عانت منها إسبانيا في عهد الجنرال فرانكو بعد الحرب العالمية الثانية، افتقرت البلاد إلى فرصة استثمار موارد كافية في صحرائها.

(٣) ينظر السياسة الاستعمارية بمنطقتي وادي نون والساقية الحمراء ما بين ١٩٣٤ و١٩٧٥، سعيد توتاي: ١٢٩.

(4) (Veintidos años en el desierto: Mis memorias y tres expediciones al interior del Sáhara, Francisco Bens,).

طوال تلك المدة كان الإسبان يعلمون بوجود العبودية في الصحراء متسامحين معها في المناطق الساحلية التي كانت تحت إشرافهم[١]، ولم تتمكن إسبانيا من بسط نفوذها الفعلي على الصحراء وكذلك على إفني إلّا في العام ١٩٣٤م بعد قضاء فرنسا على آخر جيوب المقاومة ضدّ وجودها، ما دفع عدداً من القبائل لطلب الحماية الإسبانية.

كانت التجارة والحروب القبلية والغارات تشكّل مصادر مهمة للحصول على العبيد قبل ١٩٣٤م[٢]، لكن مع فرض الحكم الإسبانيّ وما رافقه من احتكار لاستخدام العنف وخفض كبير في عدد قطع السلاح المتاحة للقبائل فقد وقع نضوب في هذه المصادر، وتعاظمت نسبة العبيد المولودين داخل القبيلة مقارنةً بالمجلوبين من خارجها، ولم يؤدِ نزع السلاح إلى تراجع قدرة القبائل الغازية على الاستحواذ على عبيد القبائل الأخرى فحسب، بل تراجعت قدرتها على فرض الإتاوات على قبائل أضعف شأناً، ومن ثمّ تراجع القدرة الاقتصادية لعدد من القبائل ونمو تلك القدرة عند أخرى، وكانت حيازة العبيد مصدر ثراء ووجاهة، وخاصّة عند القبائل التي ترى في العمل اليدوي أمراً لا يليق بالإنسان الحرّ[٣].

ومن الأعمال الضرورية التي كان يقوم بها العبيد هي رعاية الأنعام وخاصة الإبل، والحرث، وقطف الأثمار، وصيانة الآبار، ورغم السياسة الرسمية للإسبان والفرنسيّين في مكافحة تجارة العبيد فقد استمرت لسنوات طويلة بعد ١٩٣٤م قبل انقطاعها بشكل شبه كليّ بداية الخمسينات، ويمكن للمرء أنْ يستنتج أنّ بسط الإسبان لسيطرتهم على الصحراء وإفني دون استخدام للقوة قد ساعد على الحفاظ على العبودية رغبةً من الإسبان في تجنّب خلق عداء مع الزعماء القبليّين عَبر المزيد من الإضرار بمواردهم الاقتصادية أو وجاهتهم.

(١) ينظر حكاية سالم، العبد السنغالي في (Ramón Mayarata ,*Relatos del Sáhara español*: 161-163).

(٢) تنظر الدراسة التي أعدها الضابط الفرنسي Pierre Dupas عن قبائل رقيبات القواسم الصحراوية: 'Notes sur la confederation des Reguibat – Igouacem'، ٢٠ فبراير ١٩٣٧م، الأرشيف العسكري بفانسان بباريس. Service Historique de la Défense, sous-series Maroc, 3H2217: 15.

(٣) الصفحة ١٥ من الدراسة الفرنسية عن قبائل رقيبات القواسم المذكورة أعلاه.

هرم المجتمع الصحراويّ والدراسات عن العبيد:

ولفهم السياق الاجتماعيّ والثقافيّ لحكايات العبيد في هذه الدراسة يتعيّن علينا أنْ نعرّج على بعض الدراسات بشأن النظام الهرميّ الاجتماعيّ الصحراويّ وبعض الدراسات المهمة عن العبيد وتقسيماتهم، ونبدأ بكارو باروخا Caro Baroja الذي أجرى في ١٩٥٢م أول دراسة إثنوغرافية لقبائل الصحراء الإسبانية لا تزال إلى الآن مرجعاً رئيسياً للباحثين في شؤون وتاريخ المجتمع الصحراويّ، وقد رسم كارو باروخا نظام الترتيب القبليّ التقليديّ على الشكل الآتي:

يأتي في المقدمة الأشراف (أحفاد النبيّ ﷺ) تليهم الطبقة المحاربة التي يسميها بالـ (العرب)، ثم الزوايا (أي علماء الدين)، وهؤلاء يعلون التسلسل الهرميّ القبليّ، ويليهم دافعو الإتاوات من رعاة وصيادي السمك، ثم يليهم الموسيقيّون والمغنّون وغيرهم من أصحاب اللهو، والمعلّمون المحترفون بالصناعات الخشبية والمعدنية الخفيفة، وفي قاع الهرم نجد (الحراطين) وهم المعتقون أو الأحرار من أصل مُستعبد، ويلي هؤلاءَ العبيدُ[١].

فيما يتعلّق بوضع (الحراطين) أو الـ (Libertos) (المحررين أو المعتقين)، الذين شكّلوا على الأرجح أكبر مجموعة من السود في الصحراء الكبرى، فقد لاحظت دراسة أنثروبولوجية تاريخية للصحراء الإسبانية حتى في مدة زمانية متأخرة كالعام ١٩٦٩م، أنّ أولئك (المحرّرين) الذين بقوا يسكنون بعد تحرّرهم عند أسيادهم السابقين عاشوا حياةً اقتصاديةً غير مستقرّة، في المقابل فإنّ المحرّرين ذوي الماضي المُستعبد الذين عاشوا في أراضٍ يسيطر عليها سودٌ أحرارٌ أصلاً من دون أي ماضٍ استعباديّ، وشكّلوا معهم مجتمعاً مختلطاً، فقد كانوا أفضل حالاً[٢]، ما يعني أنّ تحرّر العبد ومن ثمّ بقاؤه مجاوراً لأسياده يشكّل عقبة مهمة أمام تحرّره اقتصادياً واجتماعياً داخل مجتمع يستمر في تذكيره بأصله المُستعبد.

(١) ينظر (Estudios Saharianos, Julio Caro Baroja: 50-51).

(٢) ينظر (El Sahara y el hamitismo norteafricano:Estudios antropo-históricos sahári-co-magrebíes, Juan B. Vilar: 139).

يقدّم محمد الظريف في دراسته (جوانب من ثقافة الصحراء) تقسيماً مشابهاً لتقسيم كارو باروخا للبنية القبلية الصحراوية التقليدية، ويقسمها إلى ثلاث مجموعات قبلية رئيسية:

أ. العرب أو حسّان التي عاشت على اقتناء السلاح، وإدمان الغارات والنهب من الأعداء، وكانت التجارة والحرث واقتناء الماشية عندهم أمراً غير لائق، وكانوا يشكّلون القيادة العسكرية للمنطقة.

ب. الزوايا أو الطلبة، وهي قبائل تؤدّي إضافةً إلى الاهتمام بالعلم والنشاطات الفكرية ونشر المعرفة، وظائف اقتصادية أخرى كالعناية بحفر الآبار وصيانتها، ورعاية المواشي والصناعات الخفيفة، وهي تتقاسم الزعامة مع حسّان وتمارس القيادة الروحية والاقتصادية.

ت. اللحمة: وهي قبائل أنهكتها الحروب أو الكوارث، فضعفت وخضعت لحسّان وللزوايا، وتنقسم هذه الأخيرة بدورها إلى:

١. ازناكه، وهي تقدّم الإتاوات لحسّان، رغم أنها قد تحمل السلاح أحياناً.
٢. التلاميذ، ويخضعون للزوايا خضوعاً تاماً، ويقدّمون لها الذبائح والهدايا.
٣. المعلمين، أهل الصنائع ويؤدّون الضرائب والمغارم لحسّان والزوايا.
٤. إيگاون، الذين امتهنوا الموسيقى.
٥. الحراطين والعبيد في قاع الهرم، ويسخّرون في الأعمال البيتية ورعي الماشية ويعالجون النخل ويمارسون غير ذلك من الأعمال الشاقة التي تتطلّب الصبر والجلد[1].

ويفرّق رحّال بوبريك بين الحراطين والعبيد، فيشير إلى أنّ الحراطين قوة إنتاجية رئيسية تقوم بأعمال لأسيادهم السابقين أو غيرهم مقابل جزء من المنتوج، في حين يقوم العبيد بأعمال يدوية وفلاحية ورعي دون أنْ تكون لهم حقوق اجتماعيّة وشرعيّة، مع تكريس علماء البيضان للوضعية المزرية للعبيد من خلال فتاوى تساعد على ذلك،

(١) ينظر جوانب من ثقافة الصحراء، محمد الظريف: ٦٦- ٨٢.

مثلما يشير بوبريك إلى أنّ الإثنيات الزنجية في تراب البيضان تمتلك أيضاً العبيد؛ إذ إنّ ذلك لم يكن محصوراً بالملّاك ذوي البشرة الفاتحة اللون[١] .

يفيدنا بوبريك أيضاً بأنّ الكتابات المحلية تعيد أصل هذه التراتبية الاجتماعية إلى التقسيم الوظيفيّ الذي وُضِع في القرن الحادي عشر الميلاديّ أيام المرابطين[٢]، ويشير حسن باري إلى أنّ «الفريگ - وهو تجمع الخيم لجماعة قبلية معينة نزلت مكاناً لغرض الظعن وانتجاع المراعي - يضم بين ما يضم خياماً للعبيد والإماء، إذا كانوا متزوجين، وغالباً ما تكون خيامهم خلف خيام أسيادهم، وهم إلى جانب الصنّاع المعلمين أقلّ مرتبةً من أسيادهم، ويُنظر إليهم بنوع من الاحتقار، وتمارس عليهم ممارسات لا أخلاقية من ضرب وسبّ وشتم، مع العلم أنّ لهم دوراً مركزياً داخل هذا التجمع السكانيّ»[٣].

فيما يتعلّق بالعبيد فقد أبدى كارو باروخا واحدةً من أهم ملحوظاته مفادها: أنّ العبيد في المجتمع الصحراويّ كانوا ينقسمون إلى ما يُسمّى بـعبيد النعمة، أي العبيد الذين وُلدوا ونشأوا في الأسرة و الذين لا يمكن بيعهم، وعبيد التربية أي أولئك الذين تم اكتسابهم إمّا بالشراء أو بالحرب، وأشار أيضاً إلى أنّ المولود بين القبائل كان يجب أنْ يعامَل بمزيد من التقدير أكثر من العبد المُكتسَب من الخارج، وغالباً ما يتم تحريره في سنّ مبكرة، خاصّة إذا كان مطيعاً[٤].

واستناداً إلى هذا التقسيم نفسه بين عبد النعمة وعبد التربية تقدّم صوفي كاراتيني Sophie Caratini - وهي أيضاً عالمة إثنوغرافيا- مساهمة ثاقبة مهمة، فقد أجرت دراسة تاريخية وإثنوغرافية مستفيضة عن قبائل الرقيبات في السبعينيات في شمال موريتانيا بالقرب من الصحراء الإسبانية، ويعّد هذا الاتحاد القبليّ أكبر اتحاد في الجزء الغربيّ من الصحراء، وكان أكبر مكوّن قبلي في المنطقة التي تديرها إسبانيا، لكن

(١) ينظر دراسات صحراوية. المجتمع والسلطة والدين، رحال بوبريك: ١٦٥.

(٢) ينظر دراسات صحراوية. المجتمع والسلطة والدين: ١٥٣ - ١٥٤.

(٣) القبيلة الصحراوية بين الثابت والمتحول دراسة سوسيو – أنثروبوجية حول قبيلة يكّوت، حسن باري: ٤٤.

(٤) ينظر (Estudios Saharianos: 48).

أفرادها كانوا يعيشون أيضاً عَبر الحدود إلى الجنوب والشرق، وقد قادتها ملحوظاتها إلى استنتاج أنّ محاولات هروب العبيد كانت في معظم الحالات تتمّ من قبل العبيد الذين تم امتلاكهم حديثاً في حين أنّ أولئك الذين وُلدوا في المخيّمات كانوا قد تشبّعوا بثقافة القبيلة تماماً، و كانوا يستخدمون لغة أسيادهم ويحترمون عادات أسيادهم وكان كثيرٌ منهم مرتبطين بهم بإخلاص.

لكنها أشارت أيضاً إلى أنّ العبيد الذين وُلدوا في خيام القبائل والذين تمّ تدريبهم على تقنيات تربية الإبل منذ الصغر كانوا أثمن من أنْ يتعرّضوا لإساءة معاملة؛ إذ كان في ذلك مخاطرة، مثلما أنّ هؤلاء العبيد افتقروا إلى معرفة أي (هياكل مُستضيفة) أخرى قادرة على استقبالهم، ممّا يجعل من هجرهم لأسيادهم خياراً صعبَ التطبيق[١].

ومؤخراً ساهم جوزيب لويس ماتيو ديَستي Josep Luis Mateo Dieste بعدد من الدراسات بشأن العبودية في المناطق الإسبانية في شمال أفريقيا، أكثرها صلة بالدراسة الحالية هو بحثه (Asuntos negros) (شؤون سوداء) [٢]، وهي دراسة قائمة على البحث الأرشيفيّ، حيث يحلّل فيها مصطلحات المسؤولين الإسبان في الصحراء وكذلك جهودهم في التصدي للاتّجار بالعبيد، ومن المواضيع الرئيسية في أعماله هو الموقف المتناقض للحكم الاستعماريّ الإسبانيّ بين المواقف المنادية بإلغاء الرقّ من قبل جزء من المؤسّسة الاستعمارية، وقبول الرقّ من قبل جزء آخر على أسس براغماتية لتجنّب استعداء النخب المحلية المالكة للرقّ والمستفيدة اقتصادياً منه، مثلما برّر البراغماتيون موقفهم من خلال الوضعية التبعية الخاضعة للأفارقة السود، في حين أنّ النقطة الرئيسية في اهتمام ماتيو ديَستي هي لغة الإدارة الإسبانية، إلّا أنه يقدّم لنا عدداً من الأمثلة التي تعكس الروح الاستقلالية للعبد الأسود.

(١) ينظر Caratini Les Rgaybat (1610-1934). Vol.1. Des chameliers a la conquête d'un (territoire, Sophie) Caratini: 2/ 102.

(٢) ينظر (Asuntos negros': Las autoridades españolas frente a la esclavitud y el ser-vilismo en los territorios del Sáhara Occidental (1934-1957), Josep Lluís Mateo Dieste, Historia y política).

وماتيو ديستي مثل كاراتيني، يحثّنا على تذكّر أهمية التمييز بين (النعمة) و(التربية)[١]، على الرغم من أنه لا يتوسع أكثر في هذه النقطة عند تقديم الأمثلة، ويترك للقرّاء مَهمة استنتاج الآثار المترتبة على هذا التمييز بالنسبة للخيارات التي يتخذها العبيد.

من الناحية الوثائقية فإنّ مساهمة ماتيو ديستي رائدة، فورقته البحثية (شؤون سوداء) مستندة على مكاتبات الإدارة الإسبانية للصحراء خاصّة في الأربعينات وبداية الخمسينات، وقد وُجدت هذه المادة التاريخية في الأرشيف الإداريّ العام بقلعة إينياريس إلى الشرق من مدريد[٢]، وبشكل خاص في مصنفات تقع في عُلبتين[٣]، لكن ديستي لم يستنزف ما هو موجود في ذلك الأرشيف؛ استناداً وإتماماً لماتيو دييستي استكشفنا مزيداً من المواد، ويمكن بناءً على بحثنا حتى الآن أنْ نستنتج أنّ غالبية المصنفات المتعلقة بالعبيد بشكل مباشر وتجارتهم موجودة في ثلاث عُلب[٤].

والمادة الوثائقية المتوافرة تجعل نطاق البحث إلى حدّ كبير محصوراً بين وسط الثلاثينات إلى أوائل الخمسينات من القرن العشرين، وتجعل الأتيكيتات الملصقة بهذه المصنفات التي تحمل عناوينَ تشير إلى (تجارة السود) أو (العبيد) من اليسير على الباحث عن أمور العبيد العثور على ضالته فيها، في المقابل فإنّ الاكتفاء بهذا يعني أنْ يفوت الباحثَ الكثيرُ من المادة القيّمة، فقد لاحظنا أنّ دراسة التقارير الشهرية للأوضاع والأحداث في المنطقة والموجودة في مصنفات وعُلب أخرى لا تدلّ لأول وهلة على

(١) ينظر (Mateo Dieste: 283 – 282).

(٢) Archivo General de la Administración, Alcalá de Henares، ويشار إليها اختصاراً بـ AGA. ويمتلك هذه الأرشيف وثائق وزارات الدولة ومؤسّساتها، فضلاً عن وثائق إدارة مناطق الحماية الإسبانية بشمال المغرب والمستعمرات الإسبانية السابقة بإفني والصحراء، وتشكّل المصدر الأهم لدارسي تاريخ الاستعمار الإسبانيّ بالمغرب ومشاركة الجنود المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية، وهو موضوع أنجز حوله هذا الكاتب أطروحته للدكتوراه المنشورة (Al Tuma, 2018).

(٣) هما العلبتان المبوبتان África, 81.13882 و África 81.14522.

(٤) هما العلبتان اللتان استخدمهما ماتيو دييستي، فضلًا عن العلبة المبوبة تحت رقم Sáhara, Caja S.3777.

علاقة لها بموضوع العبيد، تكشف في الحقيقة عن بيانات إضافية جديدة مهمة أخرى بشأن العبيد، منها على سبيل المثال تقارير تتحدث عن مشاجرات مميتة كان عبيدٌ طرفاً فيها أو عثور دوريات العسكر البدويّ على جثث لعبيد تاهوا في الصحراء[١].

من المهمّ أنْ يتذكر القارئ أننا في ما يخصّ المادة الوثائقية نعتمد اعتماداً كلياً على وثائق الإسبان في بيان قصة عبيد الصحراء الإسبانية، وبدرجة أقلّ على الوثائق الفرنسية الصادرة عن مناطق السيطرة الفرنسية المحيطة بالصحراء الإسبانية، فلم تكن هناك في الصحراء الإسبانيّة أية ممثليّة دبلوماسيّة أوروبيّة كانت أو غيرها، على خلاف العديد من القنصليات الغربيّة في المغرب التي شكّلت مراسلاتها مصدراً مهماً عن الرقّ في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

أخيراً فمن المهم التعليق على المصادر باللغة العربية بشأن عبيد الصحراء، وعلى النقيض من وفرة المادة الوثائقية عن الرقّ في المغرب قبل مجيء الحماية الفرنسية وبعدها، التي قادت إلى خروج بحوث مغربية مهمة مثل كتاب (جند وخدم وسراري) لمحمد الناجي (٢٠١٨)، وكتاب (المغرب الأسود: تاريخ العبودية والعرق والإسلام) لشوقي الهامل[٢]، فإنّ هناك فقراً في المصادر المحلية في منطقة الصحراء كما يلاحظ محمد دحمان في دراسته (الرقّ في الصحراء)(٢٠١٠)[٣] باستثناء بعض الأمثال الشعبية وعناصر أخرى من الرواية الشفاهية باللهجة الحسّانية، ويلاحظ المرء أنّ معظم ما نُشر عن عبيد الصحراء الإسبانية يستند بشكل شبه مطلق على الدراسات الفرنسية أو الإسبانية، وخاصّة تلك التي نشرها كلّ من كارو باروخا بالإسبانية وصوفيا كاراتيني بالفرنسية.

(١) ينظر بعض الأمثلة في 'Muerte de un indígena de raza negra' (وفاة شخص أهليّ من العرق الأسود) في النشرة رقم ٢٠، مارس ١٩٤٩. و 'Muerte de indígena por sed' (وفاة شخص أهليّ من العطش) في النشرة رقم ٢٣، يونيو ١٩٤٩. وحول أحداث عنف بين أفراد قبيلتين. (انظر 'In-cidentes entre indígenas de las tribus de Kenta y Ulad Gailan'، يناير ١٩٥٠). AGA, Caja S3776, exp 1, Caja S.298 exp 115.

(2) (Black Morocco. A History of Slavery, Race and Islam, Chouki El Hamel).

(٣) الرق في الصحراء دراسة سوسيو- أنثروبولوجية حول منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، محمد دحمان.

المصادر الوثائقية الصحراوية:

يا للأسف فإنّ ما وقع في أيدينا من مصادر وثائقية ومخطوطة بالعربية - وهي قليلة جداً - جاءت ممّا تمّ حفظه في الأرشيف الإداريّ الإسبانيّ، وهذا يأخذنا إلى التساؤل عن مصير الرسائل والوثائق المتعلّقة بالعبيد، وخاصّة المتعلق منها بأية نزاعات تصل إلى القضاة الشرعيّين، ولا بدّ أنّ الحرب بين المغرب وجبهة البوليساريو والتخلخل الأمنيّ الذي أصاب الصحراء بعد الانسحاب الإسبانيّ منها في ١٩٧٥م قد أدّى إلى تشتّت العديد من الوثائق التي كانت بحوزة أولئك القضاة أو عائلاتهم، وإلى حدّ الآن فإنّ البحث عن وثائق خاصة بعبيد الصحراء الإسبانية داخل أرشيفات الدولة المغربية لم يأتِ بنتيجة مرضيّة، بينما توجد في المقابل موادّ وثائقيّة في ملكية خاصّة متعلّقة بتاريخ القبائل الصحراوية في عدد من مدن الصحراء مثل الطان طان والعيون كما بيّنت ذلك الدراسة السوسيولوجية الأنثروبولوجية التي قام بها حسن باري عن قبيلة يكّوت الصحراوية، ولكن هذه الدراسة لم تُبرز أية وثائق متعلّقة بالعبيد.

أمّا الملحوظات القليلة التي ذكرها باري[1] بشأن وضع العبيد داخل القبيلة فلم يُشر صراحةً إلى مصدرها، لكن دراسة حسن باري تعطي الباحث أملاً في العثور على وثائق متعلّقة بالعبودية ضمن المجموعات الخاصّة على الرغم من حساسيّة هذا الموضوع، ومن ثَمّ صعوبة الاطّلاع على هذه الأوراق خاصّة إذا كانت بحوزة أحفاد مَن امتلكوا عبيداً.

معضلة النصوص وكُتابها:

قضية المصادر تقودنا إلى السؤال عن نظرة العبيد إلى حياتهم الاستعبادية، وهل كانت لهم طموحات آنيّة أو بعيدة المدى؟ وماذا كانت أحلامهم؟ يا للأسف فإننا وفي سبيل التعرّف على حياة هؤلاء العبيد لا نملك أنْ نعتمد على مصادر كتبها العبيد أنفسهم، ولكننا نعثر على آثار أصوات هؤلاء العبيد في التقارير العسكرية وبمقدار ما سمح به كُتّاب تلك التقارير الإسبان أو ما رأوا ضرورة في تسجيله.

(١) ينظر القبيلة الصحراوية بين الثابت والمتحول: ٤٤.

إنّ تخليص هذه الأصوات من المجهول اعتماداً على الوثائق العسكرية لا يخلو من المشاكل، ومنها ميول واهتمامات مؤلّفي هذه الوثائق، لكن مقابل هذه المشاكل فإنّ استخدام هذه الوثائق أمرٌ حيويّ باعتبارها تكاد تكون الوعاء الحصريّ لهذه الأصوات بشكل عام، وخاصّة خارج العالم الناطق بالإنجليزية، فإنّ ندرة المصادر التي أنتجها العبيد عن حياتهم قد أدى بالمؤرّخين إلى البحث عن مصادر أخرى للوصول إلى أصوات العبيد، ولكن كما يؤكد المؤرّخ محمد الوالدي[١]، فإنّ هذه الوثائق التي قد تتنوّع من وثائق قضائية وبوليسية وتجارية ومقابلات شفاهية قد تعاني من الحدود التي تفرضها ظروف نقل الكلام الشفاهي إلى نصّ مكتوب والترجمة وإعادة تفسير كلمات العبيد، وخاصّة إذا كان الأمر يخصّ مقابلات جرت بعد مرور عقود من تجربة العبودية.

وإحدى سمات الوثائق العسكرية - وجزء من مشاكلها - هي طبيعة الأحداث والظروف التي أدت إلى كتابتها، فعلى سبيل المثال والمقارنة - كما يوضح لنا المؤرخ مارتن كلاين[٢] - فإنّ الوثائق المتعلّقة بالعبودية في الأرشيفات الاستعمارية الفرنسية تشير إلى أنّ كثيراً من الضباط والمدراء الاستعماريّين لم يولوا اهتماماً بالعبيد إلا عند وقوع أحداثٍ كهروب بعض منهم، أو سرقات، أو إساءة معاملة شديدة الفظاعة، وهذا بالتأكيد ينطبق على الضباط الاستعماريّين الإسبان في الصحراء الذين أنتجوا الوثائق التي نحن بصددها في هذه الدراسة.

فلنتوقف عند كُتاب التقارير الإسبانية، فهؤلاء عبارة عن ضباط في الجيش ينتشرون أحياناً في مواقع نائية، ويحملون على عاتقهم مَهمة حفظ السلم في المناطق القبلية، فضلاً عن محاولتهم فرض التحريم الرسميّ لتجارة الرقيق، وهو التحريم الذي صدر من مقر الحاكم العام لأفريقيا الغربية الإسبانية، لكن مثل هؤلاء الضباط الميدانيّين كانوا في المقابل يحاولون عدم التدخل بشكل مفرط بطريقة حياة الجماعات القبلية الصحراوية، وكثير من هذه الجماعات كان يُنظر فيها إلى العبيد على أنهم جزءٌ من العائلة القبلية.

(١) ينظر (Voix d'esclaves , M'hamed Oualdi: 785-786).

(٢) ينظر (Looking for Slavery in Colonial Archives, Martin A. Klein: 123).

ونرى في هذه التقارير العسكرية - حين تعرج إلى موضوع العبيد - الظروف التي أدّت إلى كتابتها من اختلال في السلم الأهليّ أو خرق للقانون، وبناءً عليه فإنّ اهتمامات كاتب التقرير تتوجّه صوب زمان شراء العبد ومكانه، والمبلغ المدفوع في سبيله، والطريق التي سلكها المتاجرون به ... إلى غير ذلك؛ وهو ما يجعل هذه الوثائق بوليسية بشكل أساسيّ، تهدف في النهاية إلى إنفاذ القانون أو جمع معلومات استخبارية تساعد على تقليل هذه التجارة غير القانونية، كما أنه في حالة هروب عبد ما، فإنّ التقارير تهتم بالدوافع التي تقف خلف هذا الهروب ومصداقية أجوبة وادّعاءات مالك العبد، وكلّ ذلك يصبّ في تحديد أسباب هذا النزاع أو هذا الخلل لمجرى الحياة الاعتيادي.

مثل هذه المعلومات تمكّن الضابط العسكريّ من أداء دور منفذ القانون أو القاضي إلى حدّ معين، في المقابل فإنّ طبيعة اهتمامات هذه الوثائق تعني أنّ جوانب كثيرة من حياة العبيد لم تصلنا؛ لأنّها لم تكن تخدم هدف الوثيقة، فإذا عدنا إلى قصة (أمّ البركة) على سبيل المثال فإنّ التقرير العسكريّ لا يخبرنا عمّا جرى لابنتها أو ماذا كانت الأم تنوي أنْ تصنع بها، ولا نعرف كذلك بالضبط من أيّ منطقة من موريتانيا هي، ولا تفاصيل عن حياتها قبل استعبادها، ولا إنْ كانت تملك أيّ مهارات أو حرفة تمكّنها من كسب قوتها بعد إرسالها إلى طرفاية، كما أننا لا نعلم إنْ كانت تجربتها السيئة مع مالكها (أو زوجها) أحمد بابا تشمل الأربع سنوات بأكملها التي قضتها معه، أم أنّ تدهور العلاقة وقع فقط في المدة الأخيرة، وربما طرح الضابط الإسبانيّ كاتب الوثيقة مثل هذه الأسئلة عليها من باب فضوله الشخصيّ، ولكنه لم ير في أيّ من تلك المعلومات ما يخدم غرض إخطار السلطات العليا به.

النقطة المُهمة الأخرى التي نلاحظها عند متابعتنا للوثائق عَبر الأربعينات والخمسينات هي تحوّل المصطلحات المستخدمة في وصف العبيد والمُلّاك خلال الأربعينات، ففي بداية الأربعينات لا تزال مصطلحات كـ: عبد، أسود، سيّد، مالك وغيرها مستخدمة في الوثائق الإسبانية بشكل اعتياديّ، لكننا نرى أمراً يطرأ في النصف الثاني من الأربعينات ويأخذ شكله الجديد في بداية الخمسينات، وهو استبدال مصطلح (العبيد) بـ(الأقارب)

أو (الأقارب الفقراء) أو (الأقارب من ذوي العرق الأسود)، واستبدال مصطلح (السيّد) أو (المالك) بـ (الحامي)، ونرى في هذا التغيير كيفية إخراج هذه الظاهرة غير المرغوب فيها من الوثائق الرسمية للدولة، ووضع رتوش عليها لمحاولة تجميل الوجه القبيح للاستعباد.

ماذا تخبرنا هذه الوثائق عن تجارة العبيد وحياتهم ومقاومتهم؟

تجارة الرقّ في الصحراء الإسبانية:

نلاحظ في أواسط الأربعينات تجارة رقيق مُربحة، فيخبرنا أحد التقارير الإسبانية في أغسطس ١٩٤٤م عن تزايد حركة بيع الزنوج والإبل، ووَفقاً للوثيقة فإنّ التجار ينطلقون من وادي نون ومحيطها في المغرب الفرنسيّ باتجاه موريتانيا حاملين كميات كبيرة من العملة الفرنسية عَابرين الصحراء من خلال طريق يأخذهم عادةً عَبر وادي درعة إلى بئر تيراكلين (أو حاسي تيراكلين، في مركز الصحراء الإسبانية)، وبوير عصايك قبل الدخول إلى موريتانيا من نقط الزوگ الحدودية، وفي موريتانيا يبتاع التجارُ العبيدَ والإبلَ قبل العودة عَبر الطريق نفسها، وإنْ كانوا أحياناً يتخذون طريقاً بديلةً من بوير عصايك إلى گِلتة زمّور.

أمّا أرباح هذه التجارة فكانت مجزية، فكلّ عبد تم شراؤه بثمن معدله ٦٠٠٠ فرنك، ثم بيعه في الشمال مقابل سبعة جمال، وقد قيّم التقرير ثمن كلّ جمل بـ ٧٠٠٠ فرنك، ما يجعل أرباح تجارة العبد الواحد تصل إلى ٤٣ ألف فرنك، ولاحظ تقرير آخر في أغسطس من العام نفسه أنّ الربح في الشخص الزنجيّ الواحد يمكن أنْ يصل إلى ٥٠ ألف فرنك[١]، لكنّ تقريراً آخر في سبتمبر من العام نفسه قلّل من شأن التجارة وبأنها لم تصل لمراحل مقلقة، وإنّ شهر أغسطس لم يشهد أية قوافل تحمل عبيداً، على الرغم من أنّ شهر مايو السابق عليه كان قد شهد قافلة من ٥٠ جملاً برفقة ٦ عبيد[٢]، لكنّ التقرير نفسه كرّر ملحوظته بأنّ المشترين كانوا من المغرب الفرنسيّ، وأنهم كان يبتاعون السود في موريتانيا، ثم يبيعونهم عند النقاط الحدودية للصحراء الإسبانية في تيشلا أو الزوگ.

(١) ينظر (AGA, Caja S.3777, Exp 9).

(٢) ينظر تقرير بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤م . AGA, Caja S.3777, Exp 9 .

وقد اتفقت تقارير كلّ من شهري أغسطس وسبتمبر على أنّ أعضاء الشرطة البدوية من الأهليّين كانوا متورطين بتجارة الرقيق، إمّا من خلال قبض رشاوى ليغضّوا النظر عن التجارة أو حتى قيام بعض هؤلاء بشراء عبيد.

السياسة الإسبانية تجاه ملكية وتجارة الرقيق:

توضّح وثيقة أصدرتها الشعبة السياسية-العسكرية بحكومة إفني والصحراء في العام ١٩٤٣م السياسة الرسمية للإدارة الإسبانية تجاه العبودية، وعدّت الوثيقة أنّ العبودية (قد تمّ إلغاؤها رسمياً)، إلّا أنّ الوثيقة نفسها تتابع بالقول إنه لم تجرِ أية محاولات لجعل (هذا الوضع الاجتماعي المسموح به في الديانة الإسلامية تختفي)، ولا حتى في منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، لكن في المقابل دعت الوثيقة إلى عدم تشجيع العبودية والعمل بثبات – وفي الوقت نفسه بطريقة حذرة - على تقديم المساعدة إلى أيّ عبد يبلّغ عن إساءة معاملته ويرغب بالتحرّر من عبوديته، أمّا ملّاك العبيد فيجب أنْ يفهموا شيئاً فشيئاً أنّ ملكيّتهم للعبيد عبارة عن أمر يستعد الإسبان لغض النظر عنه طالما عاملوا عبيدهم بطريقة إنسانية[1]،وقد تكرّرت الإشارة إلى هذه السياسة بالنص نفسه في المراسلات اللاحقة في العام ١٩٤٨م.

هذه الوثيقة تعطينا ملخّصاً لكيفية تعامل الإسبان رسمياً وعملياً مع هذه الظاهرة، ومع حالات العبيد التي مرّت وستمرّ في هذا النصّ، كما هو الحال مع حكاية (أمّ البركة) أعلاه، أو الأمثلة الأخرى التي ستمرّ في أدناه، من خلال هذه السياسة، ومن خلال الأمثلة الوثائقية عن حالات هروب للعبيد، فإنّ الإسبان بالفعل قدّموا مساعدة لعدد من العبيد للحصول على حريتهم أو على الأقل اجتهد عدد منهم في ذلك كما رأينا في حالة أمّ البركة، كما أنهم قدّموا مجهوداً في مكافحة جلب عبيد جدد إلى منطقتهم من الخارج وفي مكافحة نقل ملكية العبيد الموجودين في الصحراء، خاصّة إذا كان انتقال هذه الملكية يعني انتقالاً جغرافياً من منطقة إلى أخرى بعيدة ومن قبيلة إلى أخرى، هذا من جهة، ولكنّ الإسبان من جهة أخرى تخلّوا عن مسؤوليتهم في مكافحة

(١) ينظر الكتاب المرقم ٣٥٢ بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٣. AGA, Af, Caja 81.13882. الوثيقة تستخدم عبارة (تسامحاً من قبلنا) لتبيان الموقف الإسباني تجاه ملكية العبيد المشروطة بمعاملة إنسانية.

وجود مؤسّسة العبودية بذاتها، وهو الأمر الذي كان من المُفترض أنْ يشكّل جزءاً من مَهمتهم (الحضارية) في الصحراء.

ومن هذه الوثيقة الصادرة في ١٩٤٣م ووثائق أخرى يلقي الإسبان باللائمة على الصحراويّين أنفسهم وعلى ثقافتهم وديانتهم ليبرّروا تقاعسهم في مكافحة الرقّ؛ وذلك للحفاظ على علاقتهم السياسية بالنخب المستفيدة من العبودية، ففي الوثيقة العائدة لأغسطس من العام ١٩٤٤م المشار إليها أعلاه، تحثّ الإدارة الإسبانية على مكافحة تجارة الرقيق بناءً على (المبادئ المسيحية) للإسبان، ولكن الوثيقة لفتت النظر إلى صعوبة تحقيق هذه المهمة؛ لأنّ (الأهالي) لا يرون في(الأسود) كائناً بشرياً، ومثل هذا الانطباع أعاد كارو باروخا تكراره في أوائل الخمسينات حين أجرى دراسته الاثنوغرافية في الصحراء، إذ روى في مذكراته كيف أنّ طباخه المدعو مولود بدا (منزعجاً قليلاً) حين دار الحديث عن قمع تجارة العبيد، وخاطب كارو باروخا قائلاً بإسبانية ركيكة: «النصرانيّ لا يفقه شيئاً، الأسود مثل الماعز، الأسود مثل الماعز»[١] هذا يعني أنه [أي الطباخ] كان يعدّه [أي الشخص الأسود] مجرد جزءٍ آخر من القطيع.

أنماط من الألفة:

على الرغم من الإشارات السابقة واللاحقة للعلاقة المتأزّمة والعدائية بين السادة والعبيد فإنّ هذا لم يكن أمراً مطلقاً، وقد سبق أنْ تحدثنا عن كيفية ضرورة معاملة عبد (النعمة) معاملة حسنة، فكانت الكثير من العلاقات بين العبيد والأسياد وبين العبيد السابقين والأسياد السابقين في الصحراء ودّية وحميمية، وكان هذا هو الحال بشكل خاص إذا كان العبيد قد وُلدوا في الأسرة، وإذا كان أحد البيضان وأحد السودان إخوة في الرضاعة، ففي معظم الحالات كانت الأم المُرضعة لطفلين أبيض وأسود هي نفسها سوداء[٢]، وقد تؤدّي هذه الروابط إلى أنْ يقوم الشخص الذي تلقّى الرضاعة بعتق

(١) ينظر (*Los Baroja* (*Memorias familiares*), Julio Caro Baroja: 497).

(٢) ينظر (*Estudios Sahariano*: 48).

مرضعته، وعتق أخيه أو أخته بالرضاعة، ولكن ليس بالضرورة بقية أطفالها[١].

يروي جون لودويك John Lodwick - وهو رحالة بريطاني سافر في إفني والصحراء في منتصف الخمسينيات- قصةً مؤثرةً عن كيفية لقائه بعبد سابق ذهب ذات مرة إلى سيّده السابق الذي كان قد استحال شيخاً، وذلك ليشتري حريته رسمياً، ولم يكن العبد قد رأى مالكه السابق منذ سنوات عديدة وسمع ذات مرة بالصدفة أنّ سيّده مريض وفقير وتخلّت عنه ذريته، وعلى الرغم من أنّ العبد كان قد تجاوز الستين من عمره، فقد وجد سيّدَه ودفع إليه ثمن عتق نفسه، بل وزاد على ذلك، واعتنى بسيّده في أيامه الأخيرة، ثم دفنه.

لـمَ فعل ذلك؟ يجيب العبد السابق قائلاً: إنه كان في طفولته (يرضع لبن زوجة سيّده)، ويلعب مع أولاده، وكان قد تلقّى من سيّده المال ليشتري به أول غنماته، بل إنّ سيّده كان قد جمعه بالفتاة التي أصبحت زوجته، وكان يشعر بالحبّ تجاهه وبأنّه مدين له[٢].

ولكن و على الرغم من أهمية لفت النظر إلى هذه العلاقات الودودة التي يمكن أنْ تنشأ بين السادة والعبيد، ورغم المشاعر التي قد تكون صادقة النية، إلا أنّ هناك دراسات اليوم تشير إلى أنه حتى في علاقات الرضاعة هذه في مجتمع البيضان - على الأقل في موريتانيا - كانت الكفّة تميل إلى فائدة الأسياد أكثر من غيرهم، مثلما أنّ هذه العلاقات لم تُزِل الصعوبات في عملية صعود السلّم الطبقيّ الاجتماعيّ للعبيد أو العبيد السابقين الذين كانت لهم أخوّة بالرضاعة مع الأسياد[٣].

(١) ينظر (La esclavitud en el Sáhara occidental: 64-65).

(2) The Forbidden Coast. The Story of a Journey to Río de Oro, a Spanish Possession in North-West Africa Lodwick: 163-165).

(3) ('Paradise is Under the Feet of Your Master': The Construction of the Religious Basis of Racial Slavery in the Mauritanian Arab-Berber Community, Khaled Esseissah, 18).

الأنماط المختلفة لمقاومة العبيد وحصولهم على حريتهم – شراء رقبة حبيبة

إنّ المثال الذي أعطاه لودويك عن العبد الذي أراد شراء حريته رسمياً - وإنْ كان لسنوات طويلة حراً من الناحية الفعلية - يُظهر لنا واحداً من طرق كسب العبد لحريته، وقد حاول بعضٌ من العبيد في الصحراء سلك هذا الطريق لنيل حريتهم أو حرية ذريتهم، ولكن ليس دون صعوبات.

وهنا نرى دور تعقيدات الحدود بين منطقتي الحماية الإسبانية والفرنسية، وتوابع الزيجات المختلطة بين الأحرار والعبيد، ومحاولات السلطة الإسبانية الموازنة بين المبادئ والبراغماتية، مثلما هو الحال في مثال حبيبة بنت امباركه، التي نرى قصتها وقصة كفاح أمها لتحريرها من خلال عدد من الوثائق باللغتين الإسبانية والعربية، إلّا أنّ هذه القصة أيضاً مثال للضبابية التي تضرب بعض تفاصيل حكايات العبيد أحياناً، وهي تفاصيل لم تدفع مدوّني الوثائق لتدوينها أو إزالة الغشاوة عنها.

يعطينا تقريرٌ في شهر يوليو ١٩٤٢م لمحةً عن خلفية امباركه، الأم الساعية لتحرير ابنتها، فكانت هذه امرأة سوداء ومملوكة لعائلة معروفة في دُكالة – في منطقة الحماية الفرنسية آنذاك – لكنها لا تذكر بالضبط في أية مدة كان ذلك، ثم تزوجت من مسلم (أبيض) - وفقاً لوصف التقرير- اشتغل رئيسَ عمالٍ على طريق مراكش، ونتج عن هذه الزيجة ابنة سُميت بحبيبة بنت إدريس ولد العربيّ، ثم توفّي الزوج في حادث عمل، وقد وفّرت حكومة الحماية الفرنسية المعونة لا مباركة لبعض الوقت، ثم التقت في مراكش بعض الرجال الذين خدعوها، إذ أخبروها أنهم سيحملونها إلى ساداتها الأوائل، لكنهم بدلاً من ذلك حملوها إلى وادي نون ومن هناك إلى الصحراء، ومن ثم وجدت نفسها - دون أن تدري كيف - في مُلك (تقي ولد المامي)، من تلاميذ الشيخ محمد الأكْظف، وعاشت معه عدة سنين.

بعد ذلك قدِمَت إلى طرفاية بحثاً عن عمل، فالتقت هناك برمضان وهو عبد لشخص يُدعى إبراهيم ولد الرقيبيّ، ورُزق لها من رمضان هذا ثلاثة أطفال، وقيل إنها وزوجها جمعا ما يكفي من المال لكي يشتري إبراهيم الرقيبيّ - مالك زوجها رمضان- امباركه

مـن ملّاكهـا وهـذا مـا جرى، لكـن التقرير يلاحـظ أيضاً أنه علـى الرغم مـن كونها تحررت ممّـن يملكونهـا فـإنّ إبراهيم الرقيبيّ تحول فعلياً إلـى مالك جديد لها، ولكن ابنتها حبيبة لـم تكـن جزءاً من صفقـة البيع هذه، وبقيت ملـكاً لورثة المامي[١].

يتركنـا هـذا التقرير فـي حيرة من وضعية امباركه وزوجها: هـل تحرّرا بالفعل من خلال المال الذي جمعاه؟ أم أنّ إبراهيم الرقيبيّ خدعهما وقرّر الاحتفاظ بهما عبدين رغم المال الذي جمعاه كون صفقة شـراء امباركه تمت باسـمه؟ وكم كان عمر حبيبة في هذه الأثناء؟

بقيـة التقاريـر الخاصـة بامباركـه وحبيبة لا تجيب عن هذه الأسـئلة، ولكنها تركز على جهـود الأم لانتـزاع حريـة البنـت، مثلمـا أنّ التقاريـر الأخـرى تشـير إلـى أنّ اسـم مالكهـا السـابق هـو المامـي ولـد البخاري، ولا يعود اسـم (تقي ولـد المامي) للظهـور ثانيةً، كما يبـدو أنّ المامـي ولـد البخـاري كان قـد توفّـي قبـل إحدى عشـرة سـنة على بـدء محاولة العتـق هـذه فـي ١٩٤٢م، وأنه عند وفاة المامي انتقلت ملكيـة حبيبة إلى زوجته فاطمة بنت علي وهي امرأة مسـنّة وشـبه عمياء وابنتها سـلمى، وأنّ حبيبة كانت تشـتغل راعيةً لحيوانـات العائلـة، وعلـى الأغلـب فـإنّ (تقي ولـد المامي) هذا هـو نفسـه (المامي ولد البخـاري)، وربّمـا كان (تقـيّ) صفة له كونـه (تلميذاً).[٢]

وتشـير التقاريـر إلـى أنّ محـاولات امباركه امتدت على الأقلّ من شـهر مايو إلى شـهر أكتوبـر ١٩٤٢م، ويتبيّـن أنّ الأم أخـذت مبـادرات للمطالبـة بابنتها، لكن الشـيخ الأكْظف رفـض باعتبـار أنّ الابنـة حبيبة هي ملك ورثة ولد المامي، ورغم أنّ الحاكم العسـكريّ من مقره في سـيدي إفني استفسـر في شـهر مايو عن سـبب رفض تسـليم البنت لأمها، ومن ثـم إصـداره فـي ٩ يونيو أوامر باسـتخلاص الطفلـة، إلا أنّ الأمور لم تكن بهذه السـهولة.

أرسـل الكومنـدار المنـدوب بالسـاقية الحمراء في بداية يونيـو – أي قبل مجيء أوامر الحاكـم العسـكريّ - برقيـةً للشـيخ الأكْظـف يعطيـه تعليمـات بـأنْ يأتي إليـه بالفتاة كي ترافـق أمهـا، أو أنْ يشـرح لـه السـبب فـي حالـة رفضـه، وتعـذّر الشـيخ بالشـرع وبوضع مالكتهـا الحاليـة العجـوز؛ ونقرأ هنا جواب الشـيخ:

(١) تقرير حُرر بمكتب المراقبات العسكرية بكابو جوبي بتاريخ ٩ يوليو ١٩٤٢. AGA, Af, Caja 81.13882

(٢) جاء الاسم بالإسبانية Taki، ولم نعثر على وثيقة بالعربية تذكر هذا الاسم.

«أمّا بعد فأفضل سلام وأبلغ تحية وإكرام إلى حاكم الصحراء الإسبانيولية سيادة سعادة كماندات كْال بيون.[١] لتعلم سيادتك أننا أتانا جوابك الأمكن الذي فيه أنك فرحت به[٢]، جوزيت خيراً وكثر خيرك وأرشدك وفيه أنك تريد الجواب في خبر أمة آل المام من كون أمها أرسلت لها فهي أمة وأمها أمة، وهي عند أم آل المام ضعيفة تناهز مائة عام ومُقعدة لا تقدر على القيام، ومباشرة لها في شؤونها كلها بحيث أنها لا تقوم ولا تجلس إلا بها والشريعة لم تعطها والكواغد التي تريد أنْ نجعل خطّ يدنا عليهنّ فسنقدم ثمّت[٣] [كذا] إنْ شاء الله ونفعل ذلك وسلِّم منا على المخزن السعيد وحكامه وعليك أنت بالتمام وعلى العهد والمحبة والسلام في ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٦١ موافق ٨ ينيه عام ١٣٦٢»[٤].

بقيت المسألة عالقة رغم تكرار الكومندار مطالبته من الشيخ في اليوم التالي على تاريخ جوابه أعلاه، الأمر الذي واجهه تكرار الشيخ رفضه مستنداً للتقاليد والشريعة، ولكنّ أمّ حبيبة لم تفقد الأمل، وفي شهر أغسطس التالي نرى امباركه قد قدمت إلى سيدي إفني لمكتب الشعبة السياسية بحكومة إفني والصحراء ترجو التدخل في الموضوع، وأنها مستعدة لدفع المبلغ المستحق لذلك، وعقباً على مطالباتها أرسل مقر الحكومة في سيدي إفني كتاباً إلى الكومندار غالو بويون المندوب في العيون للاستفسار عن أيّ جديد في الموضوع (كي نتجنب أنْ تقضي حياتها عند باب مكتب سانز دي آراناث)[٥].

(١) اسمه بالإسبانية Galo Bullón.

(٢) أي أنّ الكومندار كان قد فرح بالرسالة السابقة للشيخ إليه.

(٣) أي (هناك).

(٤) متبوع بختم يحمل اسم الشيخ محمد الأكْظف. أمّا التاريخ المذكور في الترجمة الإسبانية فهو ٢٣ جمادى الأولى ١٣٦١ وموافق لثمانية يونيو ١٩٤٢. ونلاحظ هنا كتابة التواريخ بالأرقام الهندية وهو مغاير لما هو متعارف في البلدان المغاربية، كما أنه من غير الواضح لِمَ اختار سنة ١٣٦٢ في تأريخه الميلاديّ.

(٥) في إشارة إلى الضابط Basilio Sáenz de Aranaz الذي يبدو أنه كان مَن يتولى هذا الأمر في مقرّ الحكومة بإفني.

ثم طرأ حدث جديد، حين ذهبت سلمى ابنة العجوز المقعدة إلى مكتب العيون وخالفت رأي الشيخ؛ إذ عند سؤالها عن وضعية حبيبة قالت في حضور عدد من الأشخاص، بينهم قايد قبلي يدعى القايد صلاح وشخص يدعى سيدي بوجا وآخرون، إنّ حبيبة كانت حرّة، وأنها تعيش معهما وكأنها من العائلة (وليست كعبدة)، وحين سُئِلت (هل هي إذن حرّة) أجابت (أفضل من حرّة)، بل إنها ادّعت أنها جاءت لتقول ذلك بالنيابة عن أمّها العجوز، وبناءً عليه طالب الكومندار بويون من القايد صلاح ولد بشير أنْ يأتي بحبيبة إلى العيون كي تُحمل إلى إفني.

عند لقاء القايد صلاح بالشيخ الأكْظف يبدو أنْ هذا الأخير - وَفقاً لتقرير بويون- اعترف أنّ سلمى بالفعل أدلت بتصريحات تفيد بحرية حبيبة، لكنها فعلت ذلك خوفاً من الحكومة إنْ امتنعت، رغم أنّ سلمى - ووفقاً لتقرير إسباني في أكتوبر - نفت تعرّضها لأيّ ضغوط، لكن التدوين الأصليّ لشهادة سلمى وهو تقرير مجهول التاريخ يشير إلى أنّ المذكور سيدي بوجا اعترض على إقرار سلمى باعتبار أنها أدلت به (في حالة من الخوف، أي يقصد أنها فعلت ذلك مخالفة للحقيقة)، لكن في النهاية بدا أنّ الشيخ الأكْظف مال إلى المرونة تحت الضغط، فوافق على ذهاب حبيبة مع أمها مقابل أنْ تدفع امباركه لسلمى مبلغاً من المال أو جمالاً، وبالتحديد ألف وخمسمئة بيسيتا لشراء ثلاثة جمال.

بغرض ختم الموضوع بطريقة مرضية قرّر الكومندار الإسبانيّ أنْ يصل لحلّ وسط، وفي تقريره في ٢٢ آكتوبر للحاكم في سيدي إفني، عدّ الكومندار من جهة أنّ تصريحات سلمى كانت تكفي بحدّ ذاتها لإطلاق سراح البنت، وأنه رغم عدم وجود وثيقة عتق إلا أنه كان هناك شهود، ومن جهة ثانية فإنّ أمّ حبيبة أخبرت القايد صلاح أنها في وضعية جيدة، وأنها مستعدة لدفع ألف بيسيتا أو تزيد مقابل ابنتها، وعدّ الكومندار أنّ امباركه تستطيع أنْ تدفع الثمن جِمالاً أو نقداً لينتهي الموضوع برضا الجميع، وقد أتم تقريره بالنهاية السعيدة للقصة حين ختم بقوله: «إنّ السوداء حبيبة بنت إدريس بن العربيّ في طريق العيون وسيتم إرسالها عند أول نقطة ارتباط إلى كابو جوبي كي تُرسل إلى سيدي إفني».

لكن هذه النهاية لم تكن سعيدة بشكل تام، ففي ٧ نوفمبر نقرأ برقية الكولونيل الحاكم في سيدي إفني إلى المندوب في العيون يبلغه بوصول (المُشار إليها) في تقرير ٢٢ أكتوبر - أي حبيبة – لنقطة عسكرية، وأنها صرّحت بأنّ أقرباء سلمى الذكور قد (أساؤوا معاملتها)، معطياً تعليمات للمندوب بعدم المضي في دفع التعويض المالي.[١]

هنا تنتهي القصة دون أنْ ندري ما طبيعة الإساءة التي أشارت برقية الحاكم إلى وقوعها بناءً على ادّعاء حبيبة، وهل وقع سوء المعاملة بالفعل أم كان ذلك حيلة من قبل أمها أو ربما غيرها للتخلص من دفع التعويض؟ كلّ ما نعلمه أنّ امباركه نجحت في استخلاص ابنتها التي لا نزال لا نعلم ما كان عمرها، ولا نعلم ماذا جرى بعدها لحبيبة، وهل ذهبت لتعيش مع امباركه وزوجها رمضان اللذين كانا رسمياً من مُلك يمين إبراهيم الرقيبيّ، بوصفها حرّةً أم بوصفها عبدةً لسيّد جديد؟

لكن ما أوضحته هذه القصة هي أنّ محاولات الضباط الإسبان لتخليص فتاة من العبودية ومعاونة أمها كانت تحاول أنْ تجد توازناً بين مكافحة الرقّ من جهة والرغبة في عدم إغضاب الملّاك والوجهاء والشيوخ من جهة أخرى، مثلما أنّ هذه المساعدة كانت منوطة باتخاذ أصحاب القضية - أي العبيد أو ذويهم - المبادرة في هذا السبيل والإصرار عليه.

جرح الآذان

في حين قاومت أمّ البركة – التي ذكرناها في بداية البحث - وضعَها الاستعباديّ عن طريق الانفصال المكانيّ عن بيئة الظلم الذي تعرّضت له، واستعانت امباركه بالمال

(١) تفاصيل هذه القصة في الوثائق والرسائل التالية: رسالتي مندوب الساقية الحمراء غالو بويون إلى الشيخ محمد الأكْظف بتاريخ الأول والتاسع من يونيو، رسالة الشيخ محمد الأكْظف إلى غالو بويون بتاريخ ٨ يونيو في نسختين عربية وإسبانية، تقرير لشهادة سلمى (بالإسبانية) معدوم التاريخ ومُحرّر بالعيون، مراسلات الكولونيل الحاكم ومكتبه إلى الكومندار المندوب بالساقية الحمراء بتاريخ ٢٧ مايو و٩ يونيو و١٧ آغسطس و٧ نوفمبر، رسائل الكومندار المندوب بالساقية الحمراء في العيون للكولونيل الحاكم في سيدي إفني بتواريخ الأول من يونيو و ٤ يوليو و ٢٢ أكتوبر، رسالة الكابتن المراقب في كابو جوبي إلى الكولونيل الحاكم في سيدي إفني والكومندار المندوب في الساقية الحمراء بالعيون بتاريخ ٩ يوليو ١٩٤٢. جميعها في: AGA, Af, Caja 81.13882.

وبالسلطة الإسبانية لانتزاع حرية ابنتها حبيبة، فلم يكن ذاكما المثالان سوى شكلين من أشكال المقاومة ضمن مجموعة من الأدوات التي استخدمها العبيد، إمّا لتحسين وضعهم أو لتحقيق نوع من الانتقام.

في محاضرة أُلقيت في مدريد في مايو ١٩٤٤م على جمعية الدراسات الدولية والاستعمارية بمدريد، بشأن موضوع منطقة وادي الذهب، تحدث أنيثيتو راموس تشاركو فيلاسينوس، وهو ضابط ورئيس القسم الأفريقيّ في دائرة التاريخ العسكريّ الذي كان قد خدم سنوات عديدة في الصحراء الإسبانية من قبل، عن أحد أعمال المقاومة هذه[١]: فقد ينجح العبد في تغيير سيّده بسيّد آخر عن طريق قطع أذن الشخص الذي يرغب في أنْ يصبح عبداً له، وهكذا لن يسترد المالك السابق العبدَ بسبب هذا الرفض العلنيّ والمخزي له، ويصبح الشخص المتضرّر مالكاً للعبد على سبيل التعويض، ومع ذلك فإنّ هذا لم يكن كثيراً ما يحدث، على الأقلّ ليس في المدة التي كان يتحدث فيها تشاركو[٢]، ولم يكن هناك دائماً ما يضمن بأنْ يقبل المجني عليه أنْ يصبح سيّداً للجاني، خاصّة في أواخر الأربعينيات[٣].

وقد حدّد الكاتب كارو باروخا في أوائل الخمسينات من القرن العشرين ثلاث مجموعات أدنى اجتماعياً داخل مجتمع البدو الرحّل:

أ. النساء (مقابل الرجال)[٤].

(١) ينظر محاضرته المعنونة (Visión retrospectiva del Territorio de Río de Oro) .

(٢) ينظر الصفحة ٢٠ من محاضرته، قد تشمل الأشكال الأخرى لهذا التكتيك جرح أذن أحد أفراد عائلة السيّد الجديد المحتمل، مثل ولد من أولاده، أو بدلاً من ذلك إصابة حيوان من ماشيته، ولم يكن راموس تشاركو أو الإسبان بشكل عام هم الوحيدين الذين سجّلوا طريقة قطع الأذن للهروب، ففي الدراسة العامة الفرنسية عن اتحاد قبائل الرقيبات العام ١٩٣٧، لاحظ الفرنسيّون الظاهرة نفسها. (ينظر الدراسة حول رقيبات القواسم في الأرشيف العسكري الفرنسي المشار إليها أعلاه).

(3) Asuntos Negros: 297.

(٤) لا تتفق جميع الدراسات بشأن القبائل الصحراوية على دونية مكانة المرأة داخل المجموعة القبلية. يعدّ حسن باري أنّ دور المرأة أساسي ومقدّر إلى حدّ كبير لدرجة أنه لا يمكن أنْ تُمس

ب. السود (مقابل البيض).

ت. المعلّمين، المشتغلين بالخشب والمعادن.

كان هناك بعض الإمكانات المتاحة لأفراد المجموعات القبلية سواءً من السود، وكذلك المعلّمون والنساء، للإخلال بالنظام الاجتماعيّ للانتقام من وضعهم الدونيّ، وكان المجتمع الصحراويّ ينسب إلى أفراده السود (وكذلك الحرفيّون) استخدام السحر وقوى الشرّ الأخرى[١]،وكان بإمكان العبيد التعبير لفظياً - وإنْ كان بشكل خفيّ - عن استخفافهم بأسيادهم أو بـ (البيضان) بشكل عام، مثلما يمكن أنْ تتخذ المقاومة أيضاً شكلاً متطرفاً يتمثّل في القتل رغم أنّ هذا قد يتبعه انتقام شديد ومُميت من قبل أقرباء الضحية [٢]،لكنّ المقاومة احتاجت أيضاً إلى التغلّب على ثقافة سائدة في الصحراء الغربية الأوسع نطاقاً، التي جعلت العديد من العبيد والعبيد السابقين يعتقدون أنّ طاعة أسيادهم (السابقين) واجب دينيّ من شأنه أنْ يمهد طريقهم إلى الجنة، في حين أنّ العصيان أو الهروب من أسيادهم خطيئة من شأنها أنْ تجلب غضب الله عليهم[٣]

وقد يجد العبيد أنفسهم أحياناً في ظروف تمتزج فيها خياراتهم المقاومة بظروف قهرية لا يجدون إلى مجابهتها سبيلاً، ومن ثَمّ يحاولون التعايش معها قدر الإمكان وانتزاع أكبر فائدة، ومثل هذا وقع للعبدة مسعودة في رحلتها التي عبرت فيها حدوداً ومساحات شاسعة، طوعاً أحياناً وكرهاً أحياناً أخرى.

بسوء، أو تقال لها كلمة جارحة. (ينظر القبيلة الصحراوية بين الثابت والمتحول دراسة سوسيو – أنثروبوجية حول قبيلة يكّوت: ٨٦). ويرى رحال بوبريك أنّ دور المرأة الصحراوية محوري في الحياة اليومية للخيمة، وأنّ ملكية الخيمة تعود إلى الزوجة، وتحمل خيمتها معها حين تتزوج وتنضم إلى مخيّم زوجها (ينظر المجتمع الصحراويّ من عالم الخيمة إلى فضاء المدينة: ٣٢).

(١) ينظر (Estudios Saharianos: 271).

(٢) ينظر (La esclavitud en el Sáhara occidental: 122-123).

(٣) ينظر (Paradise is Under the Feet of Your Master: 11-12).

الرحلة المسعوديّة

ففي ١٨ مايو ١٩٤٨ م حضرت فتاة (أهلية) تُدعى مسعودة إلى مكتب الحكومة في العيون لتروي حكاية استعباد وهروب وإعادة استعباد، ومسيرة رحلة طويلة أخذتها عَبر سنين من المغرب الفرنسيّ إلى نقاط مختلفة من مناطق الإدارة الإسبانية بإفني والصحراء[١]، ونرى في تفاصيل حياتها المروية في التقرير الإسبانيّ محاولاتها لتحسين ظروف حياتها ومصارعتها ظروفاً تدفعها نحو مزيد من الاستعباد حيناً، واتخاذ خياراتها الحرة حيناً آخر، وإنْ كانت هذه الخيارات تقع دائماً ضمن ما تسمح به بيئة الصحراء، والحاجة إلى طيف متعدّد من (الحماة) الذكور.

يبدو من التقرير أنّ سنّ مسعودة كان يقارب العشر سنوات أو أكثر حين استولى الإسبان على إفني في ١٩٣٤م، وليس من المعلوم متى وصلت إلى إفني، وهل كان ذلك قبل أو بعد مجيء الإسبان؟ ولكنها وُلدت في المغرب الفرنسيّ بين أفراد قبيلة الحاحه[٢]، ما يعني أنّ مسقط رأسها كان في مكان ما بالسوس بين الصويرة شمالًا وأوريرد جنوباً بالقرب من أغادير.

أخبرت مسعودة محادثها الإسبانيّ أنها كانت صغيرة حين خُطفت من قبل أفراد يعودون إلى آيت الخُمس وهي قبلية تقطن في إفني، وقد سلّمها خاطفوها إلى شخص يُدعى عليّ بن سعيد الذي سلّمها بدوره إلى أخيه محمد، وهذا بدوره إلى شخص آخر يُدعى سيد امبارك، وهو الذي أصبح مالكها الثابت، وعليه فقد كانت عبدة مُستحوذة وليست وليدة داخل القبيلة أو العائلة، أي أنها وَفقاً للتعريفات التي مرّت علينا كانت عبدة تربية وليست عبدة نعمة، على الأقلّ في بيئتها الجديدة، ولم تذكر مسعودة إن كانت وُلدت عبدة أو كانت سليلة عبيد في قبيلة الحاحه، ويصفها التقرير بأنها (أهلية) nativa ولا يصفها بـ(السمراء) morena أو (سوداء) negra، لكن ما يميّزها هو أصلها الشماليّ، فمعظم العبيد الذين تمّ استجلابهم في تلك الحقبة كانوا من موريتانيا، وهذا

(١) تفاصيل رحلة مسعودة مدونة في التقرير المؤرخ في ٢٨ يونيو ١٩٤٨م، 'Num 310 – Sección' .A.I. -Subgobierno Sahara', AGA, Af, Caja 81.13882

(٢) هي بالأحرى تحالف لقبائل ناطقة بالشلحة.

كان لـه أثره في تهريبها وقيمتها الاقتصادية وتسـويقها.

فـي أثنـاء حياتها مع سـيد امبارك ولدت له ابناً، لا تذكـر الوثيقة كم عمره، ولكن هذا الابـن لـم يكـن برفقتهـا حين حضـرت إلـى المكتب الإسـبانيّ، بـل كان عند والـده يعمل راعيـاً للأنعـام، ورغـم أننـا لا نعلـم هـل كان راعيـاً للإبل أم ماشـية أخرى، لكـن الاحتمال الأرجـح وبالنظـر لصغر مسـاحة إفنـي قياسـاً بالصحراء وتضاريسـها ومناخها الأقلّ قسـوة فـإنّ المخاطـر الطبيعيـة التي يتعرّض لها الرعاة لابدّ أنها كانـت أقل من تلك التي يجابهها الرعاة فـي الصحراء.

ادعـت مسـعودة أنّ ابنهـا هو ما دفعهـا إلى الفرار من مالكها أول مـرة؛ إذ إنه تعرّض لسـوء المعاملة على يد زوجة سـيد امبارك، وهذا التصريح يدفعنا إلى الظنّ أنّ مسـعودة ربّمـا لـم تكـن تحظى - رسـمياً على الأقلّ - بصفـة الزوجة، لكن هذا التبريـر يدفعنا أيضاً إلـى التسـاؤل عـن السـبب الـذي لـم يجعلهـا تحمـل ابنها معهـا، وهو سـؤال لا يبـدو أنّ المسـتجوب الإسـبانيّ قـد طرحـه عليهـا، أو ربّما طرح السـؤال ولكنه لم يجـد أهمية في تدوين الإجابة.

بعـد سـوء المعاملـة التـي تعـرّض لهـا ابنها هربـت مسـعودة باتجـاه مالكها السـابق محمـد، لتمكـث عنده يومين قبل أنْ يسـتعيدها امبارك ثانية، لكنهـا عادت للهروب بعد سـبعة أيام باتجاه توغونفِل بإفني، حيث مكثت مدة شـهر في بيت شـخص يُدعى سيدي حسـين، دون أنْ نعلـم مـا كان يربطهـا بهذا الشـخص، وإذا كانت مسـعودة قد ذكرت أنّ هروبهـا كان مدفوعـاً بظـروف ابنهـا فإنها لا تروي الأسـباب التي دفعتها للهـروب ثانية أو هـل أخـذت ابنهـا معها هذه المـرة، مثلما أنها لم تذكر هل تعرّضت أم لا لإسـاءة معاملة بعد هروبها الأول، ولا تذكر أيضاً لماذا سـمح لها سـيدي حسـين هذا بالمكوث عندها كلّ هـذه المـدة، وهل كان هناك مـن مقابل لذلك.

بعد مكوثها عند سـيدي حسـين توجّهت مسـعودة نحو المغرب الفرنسـيّ دون شـرح الأسـباب، لكنهـا فـي الطريـق التقت رقيباً من شـرطة إفني أخذها إلى سـوق آميلو، ومن هنـاك بالشـاحنة إلـى منـزل تاجـر في إسـبوية مـن آيت آبـداكا يُدعـى أيضاً امبـارك مثل مالكها السـابق، ولا يذكر التقرير لِمَ قررت تغيير وجهتها، هل أقنعها الشـرطيّ أم أكرهها

على ذلك؟ ربّما لم يعجب كاتب التقرير جوابها خاصّة إذا كان فيه إساءةً لسمعة شرطة إفني التي تعمل تحت سلطة إسبانيا.

على كلّ حال فقد بقيت عند امبارك التاجر مدة أربعة أيام، ومن ثم حذرتها امرأة تُدعى فاطمة أنّ مسعودة كانت معرضة لتغيير(حاميها)، وهنا لا بدّ أنْ نلاحظ أنّ مصطلح (حامي) بالتأكيد مصطلح وضعه كاتب التقرير الإسبانيّ بدل مصطلح (مالك) أو (سيّد)، في هذه المدة التي كانت فيها المصطلحات الخاصة بالعبودية في مدة انتقالية لتكون أكثر لباقةً وسياسةً وإخفاءً للحقيقة، وعند هذا التحذير من فاطمة - التي لا نعرف ما هي وظيفتها أو وضعيتها في بيت التاجر امبارك - هربت مسعودة إلى إغويسل في المنطقة الفرنسية، حيث مكثت ثلاثة أو أربعة أشهر - دون ذكر كيفية قضائها لهذه المدة - قبل أنْ تعود إلى تيلوين في المنطقة الإسبانية، حيث سكنت ولمدة غير معلومة مع عسكريّ يُدعى سيدي محمد مراكشيّ من عسكر الـ Tiradores (الرماة)، ربّما في إشارة إلى فرقة رُماة إفني التي اشتهرت إبّان الحرب الأهلية الإسبانية.

بعدها توجهت إلى سيدي إفني لأنّ الجنديّ سابق الذكر أخبرها أنها لا يمكن المكوث عنده؛ لأنّ الحكومة قد منعت تغيير (الحامي) لها، وهنا أيضاً لا نعرف بأيّ صفة كانت تسكن عند العسكريّ سيدي محمد، ولا إنْ كان ادّعاؤه صحيحاً أم أنه أراد التخلّص منها؟ وبعد ذهابها لسيدي إفني عملت هناك عند ضابطين إسبانيّين برتبة كابتن مدة ثلاثة أشهر، ولا يذكر التقرير طبيعة عملها، لكنها اشتغلت على الأغلب في تدبير المنزل، ولا نعلم ماذا جرى كي تترك هذه الخدمة، ولكن نقرأ في تقرير رحلتها أنها عاشت بعدها مع عسكريّ آخر من عسكر الرماة لكنها لم تعد تتذكر اسمه، وكلّ ما تعلم عنه أنه انتقل إلى جزر الكناري، وعدم تذكرها اسمه غريب بالتأكيد؛ لأنها في عدة مناسبات ذكرت أسماء ونسب الأشخاص الذي مرّت عليهم، رجالاً ونساءً بشكل مفصّل إلى حدّ كبير، لكن لا يبدو من الوثيقة أيّ استفسار عن هذا النسيان، مثلما يبدو ممّا سبق أنّ مسعودة لم تعِش مع أيّ من العسكريّين (المسلمين) مسبوقي الذكر بصفة زوجة رسمية، وإلا لكان بإمكان أيّ من العسكريين أنْ يبقيها عنده.

في أعقاب ذلك عادت إلى بيت التاجر سيد امبارك، حيث مكثت سبعة أيام عنده

قبل أنْ يحملها إلى منزل شخص آخر في إسبوية، حيث باتت ليلةً واحدةً ومن هناك حُملت على بغلة باتجاه تيلوين بمعية خادمة لسيد امبارك، وعلى أطراف وجهتها الجديدة التقت بشخص من الرقيبات يُدعى حمواد من أولاد بو سعيد وآخر يُدعى سليمان من آيت لحسن، وعند الوصول إلى حدود المنطقة الفرنسية وضعها سليمان على حصانه وآخذها باتجاه لقصابي - المعروفة أيضاً بـ لقصابي تاكوست - على الطرف الآخر من الحدود، وإلى بيت بقيت فيه في (رعاية) حمواد وشخص آخر مجهول، ورغم أنّ الوثيقة لا تقول ذلك صراحةً إلا أنه يبدو أنّ سليمان وحمواد قد خطفاها بالفعل، وهل كان للخادمة دور؟ لا نعلم.

على كلّ حال فإنه بعد مدة عاد سليمان مع أخيه محمد فاضل الذي جاء بجملين ومقدارٍ من المؤن، ووضع محمد هذا مسعودةَ على أحد الجملين ليبدأ كلّ من مسعودة ومحمد فاضل وحمواد - ولكن من دون سليمان على ما يبدو- رحلتهم في الصحراء، وكانت وجهتهم گريسيم في الساقية الحمراء، حيث توجد بئر لمياه صالحة للشرب.

رافقتهم في هذه الرحلة امرأة تُدعى الحبيبة بنت علي، وهي أختٌ لرقيب في القوات البدوية، ولا نعلم ما دورها في هذه الحكاية، لكن قبل بداية الرحلة عمد المهرّبون إلى جعل مسعودة ترتدي الثياب التقليدية لنساء الصحراء بدلاً من ثيابها الشمالية، ورغم أنّ التقرير لم يحدد ما هي هذه الثياب التقليدية للصحراويات، فلا بدّ أنه كان يقصد (الملحفة)، ولم تذكر مسعودة مدة الرحلة، لكن في الأغلب وبالنظر إلى المسافة ومعدل سير الجمال فإنها قد تحتاج بين أسبوع وعشرة أيام لقطع المسافة التي ساروا فيها، هذا في الظروف الاعتيادية.

لكنّ رحلة مسعودة لم تكن عادية، فخلال السفر وكلّما اقترب الركب من نقطة سيطرة عسكرية كانوا يتوقفون منتظرين حلول الظلام بهدف تجاوز نقطة السيطرة والاستمرار باتجاه الساقية الحمراء نحو گريسيم، وعند وصولهم هناك ذهب محمد فاضل إلى مدينة السمارة مصطحباً معه الحبيبة، ومن غير المعلوم هل علمت الحبيبة هذه بأنّ مسعودة مخطوفة ومهربة أم لا؟ وما كان وضع الحبيبة هذه نفسها، ولماذا رافقت المهربين؟ في تلك الأثناء بقيت مسعودة في گريسيم مع حمواد، ثم عاد محمد

فاضل بعد يومين، وعند عودة هذا الأخير غادر حمواد ليعود ليلاً، ثم ليستمروا في الرحلة حتى وصلوا گويس في أطراف السمارة.

السمارة:

بُنيت السمارة في نهاية القرن التاسع عشر على يد الشيخ ماء العينين ذائع الصيت في مقاومته للتوغل الأوربيّ في الصحراء، وممّا يُعرف عن الشيخ أنه حين حجّ في العام ١٢٧٥ للهجرة التقى بأناس من أطراف مختلفة من العالم، فتجاذبوا أطراف الحديث عن جغرافية بلدانهم وحياتها الاجتماعية والاقتصادية، وأخبرهم أنّ «بلادنا لا يعرف أهلها ديناراً ولا درهماً فاعتبروا غاية، وقال[وا] لي: بمَ التصارف عندكم؟ فقلت لهم: بالأنعام والأثواب والعبيد»[(١)].

وقد اتهمت الجمعية البريطانية والأجنبية لمكافحة العبودية في العام ١٩٠٧م الشيخ بأنه قد حوّل وادي السمارة إلى (مستودع للعبيد) حاملاً معه ما بين ١٠٠-١٥٠ عبداً، منهم الفتيان والفتيات كلّما زار بلاط السلطان ليبيعهم أو يهديهم في رحلة كان يلقى فيها بعضهم حتفهم[(٢)]، ورغم عدم علمنا بمصداقية هذا الادّعاء والأدلة التي استند إليها، وعلى الرغم من شيوع المقايضة في القرن التاسع عشر في الصحراء فإنه يبدو أنّ ماء العينين نفسه هو أول مَن أدخل الدفع النقديّ في المبادلات التجارية إلى تجارة الصحراء بتعليمات من السلطان مولاي الحسن.

لكنّ المقايضة كانت لا تزال شائعةً في تجارة العبيد في الصحراء في الأربعينات وهو الأمر الذي انطبق على مسعودة أيضاً، فبعد الوصول إلى گويس ذهب حمواد - أحد المهربين - إلى نقطة السمارة وعاد مصطحباً معه رقيباً وعريفاً، الرقيب هو حمادي بن محجوب، والعريف حسين ولد عمر.

(١) الرحلة المعينية، ماء العينين بن العتيق، ١٤٨. قوله: (اعتبروا غاية) أي تأملوا في ما قاله، وقوله: (بمَ التصارف عندكم): أي بمَ التعامل عندكم. جاءت (قال) بدلاً من (قالوا) في النصّ الأصليّ.

(٢) رسالة بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٠٧، بعنوان (إلغاء العبودية). تقرير(أرشيف وزارة الخارجية البريطانية) (The National Archives, F.O./174/294/4. Abolition of Slavery. Report)

روايتان مختلفتان:

هنا نصطدم بروايتين لِما تبع ذلك: رواية مسعودة من ناحية (رغم أنّ التقرير لا يقول صراحةً إنّ هذه رواية مسعودة لكنّ الأمر واضح من السياق)، والرواية التي قدّمها الرقيب حمادي من ناحية أخرى، ففي رواية مسعودة عرضَ الرقيبُ شراء مسعودة مقابل (فتاة محميّة) صغيرة وجملين، وهو الأمر الذي رفضه المهّربان، ونلاحظ هنا مصطلح (الفتاة المحمية) وهو إشارة واضحة لفتاة عبدة، وهو بالتأكيد ليس المصطلح الذي استخدمته مسعودة وإنما وضعه كاتب التقرير الإسبانيّ، وإذا افترضنا صحة رواية مسعودة فمعنى ذلك أنّ الرقيب حمادي - وهو المكلّف بمكافحة تجارة الرقّ - لم يكتفِ بمحاولة شراء عبدة فحسب، بل إنّه عرض عبدةً صغيرة السن في المقابل، ما يعني أنّه يخرق القانون مرتين.

أمّا في الرواية الثانية - وهي رواية الرقيب - فإنّه حين استُجوب لاحقاً عن الأمر ادّعى أنّ مسعودة عُرضت عليه، ولكنه رفضها لعلمه بأنّ الحكومة قد منعت تبديل حامٍ بآخر، وقد أكّد العريف أنّ الرقيب رفضها بالفعل لكن دون شرح الأسباب، وهنا قد يتساءل القارئ لمَ لم يستفسر الضابط الإسبانيّ عن عدم قيام الرقيب والعريف بحجز المهربين ومسعودة وإنفاذ قانون تحريم التجارة بالرقّ، ولكن لا يبدو أنّه تمّ اتخاذ إجراء ضدّ العسكريين رغم عدم تنفيذ واجبهما تجاه هذه التجارة المحرمة رسمياً.

هكذا استمرت رحلة مسعودة التي وقعت مريضةً لأربعة أيام، في حين اصطدمت محاولات بيعها بعراقيل؛ إذ (لم يتقبلها أحدٌ؛ لأن الناس افترضوا أنها مسروقة)، وأخيراً ابتسم الحظّ للمهرّبين حين وصلوا إلى عوين ترغيت عند خيمة محجوب أبي الرقيب السابق الذكر، مخبرين إياه أنّ ابنه أرسلهما إليه ليسلّماه مسعودة، ورغم أنّ الوثيقة الإسبانية تبيّن أنّ مسعودة نفسها نفت وقوع أيّ اتفاق بيع يخصّها، فإنّه من غير الواضح إنْ كانت الفتاة قد وضّحت هذا لأبي الرقيب حمودي سواءً أثناء إجراء الصفقة أو بعدها، وبالفعل دفع أبو الرقيب مقابل مسعودة ثمناً هو أربعة جمال وأربع نوق، وجملان وليدان من تلك النوق، ولم يعلم الرقيب إلا متأخراً بما جرى، موبّخاً أباه على أساس أنّ مسعودة من الشمال وهي لا تصلح للصحراء.

هكذا تنتهي رحلة مسعودة، ولا توضّح الوثيقة هل استجوابها جاء نتيجة هروبها من مالكها الجديد أم أنّه تمّ تسليمها من قبل الرقيب أو أبيه خشية من أيّ مشاكل مع الحكومة؟ وكلا الخيارين وارد؛ إذ إنّ مسعودة أثبتت أكثر من مرّة قدرتها وجرأتها على الهروب بحثاً عن حياة أفضل، ونرى أنّ مصيرها كان يحكمه مزيج من الظروف المكرهة والخيارات التي قد تبدو جذّابة حيناً، وخاصّة عند محاولاتها للحصول على نوع من الاستقرار من خلال إقامة علاقة من نوع ما مع عدد من الـ (حُماة) الذكور، وهي محاولات لم يُكتب لها النجاح، على الأقلّ إنْ افترضنا أنها كانت بالفعل تسعى إلى شيء ممّا يمكن تسميته بـ (الستر).

ويا للأسف الشديد فإنّنا لا نعلم مصير مسعودة بعد ذلك، فحالتها كانت معقّدة، وفي بعض الحالات الخاصّة بأناس تمّ تهريبهم من موريتانيا كان يتمّ إعادة العبيد المتاجر بهم إلى مسقط رأسهم عَبر ميناء الداخلة (أو كما كانت تُعرف آنذاك: بيا ثيسنيروس Villa Cisneros)، لكنّ مسعودة كانت تقطن المنطقة الإسبانية منذ الصغر، ولا يبدو أنها حاولت العودة إلى قبيلتها الأصلية أي قبيلة الحاحه، وربما كان بالإمكان إبقاؤها عند الرقيب بصفته نوعاً من (الاستئمنان) مقابل تعهد بعدم إعادة بيعها – وهو أمر وقع عدة مرات في الصحراء الإسبانية - أو إرسالها إلى إفني لتكسب رزقها هناك أو تجد لنفسها شخصاً تعيش تحت ظلّ رعايته الاقتصادية.

وتبيّن رحلة مسعودة أنّ المؤسسة العسكرية في الصحراء من خلال أفرادها كانت أحياناً أداةً لتسهيل تهريب الرقيق، ولكنها - كما سنرى - كانت أيضاً أداةً لحماية عبد نجح في تحرير نفسه، كما تبيّن الحالة التالية للعسكريّ مولود.

مولود، العبد والعسكريّ:

وَفقاً لوثيقة غير مؤرّخة - يبدو من موقع الوثيقة في الأرشيف والسياق أنها تعود للعام ١٩٤٤م - فإنّ عبداً سابقاً اسمه مولود قد خدم بصفته عسكرياً في وحدة البدو بالساقية الحمراء، وكان مولود عبداً محرّراً من رقيبات القواسم، وقد عتقه مالكه السابق المسمّى علّال عند وفاته في ١٩٣٥م، لكنّ أبناء علال لم يعترفوا بهذا العتق وباعوه لشخص آخر من القبيلة نفسها مقابل ١٥ جملاً، إلا أنّ مولوداً هرب من خيمة مالكه الجديد بعدها

بسنتين والتجأ عند مكاتب السلطة الإسبانية حيث تجنّد في سرية للإبل، وتروي الوثيقة أنّ المالك الجديد قد حاول أكثر من مرّة استعادة مولود، لكنه جابه رفض السلطات الإسبانية التي عدّت مولوداً (تحت حماية الحكومة)، وهو الأمر الذي اضطرّ المالك الجديد إلى الاحتجاج عند الإخوة الذين باعوه مولوداً، مطالباً باسترداد الثمن الذي دفعه على اعتبار أنهم باعوه رجلاً معتقاً، وقد أنكر الإخوة عتقه وأكدوا له أنهم باعوه عبداً.

ونرى المالك الجديد يحاول لسنوات بعد ذلك عرض قضيّته على السلطات الإسبانية دون جدوى، ويشير كاتب الوثيقة الإسبانية إلى أنّ أفراد قبيلة القواسم قد أكدوا على أنّ مولوداً كان بالفعل حرّاً؛ لأنهم إمّا شهدوا بأنفسهم عتقه على يد علّال أو سمعوا بذلك.[١]

وهذه الوثيقة إذا دلّت على شيء، فإنما تدلّ على أنّ الحكومة الإسبانية حين قامت بحماية مولود فإنّ ذلك كان بناءً على اتّباع القواعد التي جعلت من مولود حرّاً بطريقة متوافقة مع الأعراف القبلية، مثلما تدلّ هذه القصة على أنّ الإسبان لم يقدّموا حمايتهم هذه إلا بعد أنْ بادر مولود بالفرار.

السارق الهارب امبارك:

لكنّ حالات أخرى تُظهر إلى أيّ حدّ كانت مساعدة الإسبان لعبدٍ هارب محدودة بعوامل إضافية، وإلى أيّ حدّ كان استعداد السلطة الإسبانية لاستعادة عبد هارب إنْ توافرت شروط معينة، فلنتمعن في هاتين الحالتين اللتين تعودان للعام ١٩٥٠م والفارق في التعامل بينهما.

ففي تلك السنة طلب رجل صحراويّ من الحكومة مساعدته لاسترجاع رجل أسود اشتراه أخوه في أدرار بموريتانيا، ثمّ هرب هذا الرجل المشتَرى نحو المنطقة الفرنسية، وتبيّن وَفقاً للوثيقة الإسبانية التي سجلت الشكوى أنّ الرجل الأسود كان يتمتّع بصفة عبد سابق محرّر، وأجاب الكابتن الإسبانيّ على الشكوى بأنه حتى لو كان الرجل الأسود غير محرّر فإنّ الحكومة لا تستطيع المطالبة بشخص لم يرتكب جرماً[٢]، وهذا تفصيل

(١) ينظر وثيقة بلا تاريخ. AGA, Af, Caja 81.14522 - 1687bis, Sección 1a, Negociado 5o

(٢) ينظر تقرير بتاريخ ١٠ مايو ١٩٥٠. AGA, Af, Caja 81.13382.

في غاية الأهمية؛ إذ يعني ذلك أنه لو استحوذ عبدٌ على وسيلة فرار - كجمل على سبيل المثال - بطريقة غير شرعية، فإنه سيكون عندها هدفاً مشروعاً للحكومة.

وهذا ما وقع بالفعل في العام نفسه في حالة أخرى حين طالب أحد وجهاء أولاد دليم مساعدة الحكومة الإسبانية لاستعادة (أحد الأقرباء من العرق) يُدعى امبارك كان يتولى رعاية الإبل، فهرب مصطحباً جملاً وتسع نوق باتجاه نواكشوط، وقد تعقّب المالك الرجلَ الهاربَ حتى نواكشوط، حيث قامت السلطات الفرنسية بإعادة الجمل إلى صاحبه، ولكن امبارك نفى للسلطات في نواكشوط أيّ علم له بالنوق التسع، ورفض الفرنسيّون إعادة امبارك دون استشارة حاكم موريتانيا.

وهنا نرى تغيراً في الموقف الإسبانيّ، فالإسبان ركزوا في هذه الحالة على (الدفاع عن حقوقنا)، باعتبار أنّ سرقة الجمال تمّ في منطقتهم، ورغم أنّ كاتب أحد التقارير الإسبانية عن هذا الموضوع أقرّ بأنّ (موضوع السود حسّاس إلى حدّ ما) فإنّ الإسبان أصرّوا على ضرورة إيقاع عقوبة لتجنّب تكرار حالة مماثلة ولعدم خلق انطباع بأنّ موريتانيا ملجأ آمن لمثل هذه الحالات، ووصل الطرفان الفرنسيّ والإسبانيّ بعد مرور ثلاثة أشهر على اتفاق لإعادة امبارك.[1]

اللافت للنظر في حالة امبارك أنّ التقارير لا تهتم بالدوافع التي حملت امبارك على الهروب من (القريب) المزعوم، وواضح أنّ سرقة الإبل قد حظت بأولوية تعلو مسألة العبودية التي يُفترض أنْ تكون غير شرعية، ولكنّ مصطلحات القرابة التي استخدمتها الإدارة الإسبانية جعلت من وضعية العبد غير مهمة، بل غير موجودة.

الأمر الآخر الذي توضّحه حالة امبارك هو كيف أنّ الصحراء، بحدودها المفتوحة تقدّم فرصاً للمُستعبِدين والمُستَعبدين، فتوفّر لمهرّبي العبيد المجال للمتاجرة بالعبيد رغم القيود الرسمية عليها، وتوفّر للعبيد الذين يرجون الفرار فرصة الاحتماء من السلطات القبلية أو الأوروبية في منطقة الحماية الفرنسية، وذلك عَبر العبور إلى المنطقة الإسبانية أو بالعكس.

(١) ينظر عدة تقارير في العام ١٩٥٠ في: AGA, Caja 297, Legajo 584.

وقد حاولت السلطات الإسبانية في نهايات الثلاثينات استقطاب أكبر عدد من القبائل لصالحهم على حساب منافسيهم الفرنسيّين عَبر إعطاء تعليمات لضبّاطها بتسهيل حركة الرُحّل من وإلى المناطق الخاضعة لسيطرة فرنسا[١]، وهذه الحدود سهلة الاختراق وفّرت فرصاً لهروب عدد من العبيد، فعلى سبيل المثال في ١٩٣٨م هرب عبد يُدعى مسعود من مناطق السيطرة الفرنسية في موريتانيا عابراً الحدود من مقابل نقطة الزوگ الحدودية جالباً معه ناقة، فأخبر العسكرَ البدويّ في المنطقة الإسبانية أنه هرب بسبب تعرّضه للمعاملة السيئة؛ لأنه كان قد فقدَ عدداً من الجمال.[٢]

وفي المقابل فإنّ محاولات الهرب هذه أيضاً تتعرّض لخطر الفشل، ففي حادثة تعود للعام ١٩٤٤م بعث أفراد من رقيبات أولاد داود بعبدٍ لهم لبئر لإرواء القطيع، ولكنّه استغل الفرصة لمحاولة الهرب من أسياده متجهاً نحو نقطة عسكرية إسبانية كي يحصل على حريته، إلّا أنّ ملّاكه لحقوا به قبل أنْ يصل للسلطات الإسبانية وأشبعوه ضرباً، ثم أخذوه معهم عَبر الحدود إلى المنقطة الفرنسية خشيةً من ردّ فعل السلطات الإسبانية إنْ هي علمت بالأمر[٣]، ومن سخرية القدر أننا يمكن أنْ نعدّ هذا العبد محظوظاً، ففي ذلك الوقت في تراب البيضان كان هروب العبد تتبعه عملية صيد يشترك فيها أقرباء مالك العبد، ويستخدمون فيها مهاراتهم في قصّ الأثر وإنزال عقوبات تؤدّي إلى عاهات مستديمة[٤]، ويبدو أنّ فرض الاستعمار سلطته الفعلية وحصره لممارسة العنف قد أدّى - ليس بالضرورة بمقصد إنساني - إلى تراجع مثل هذه العقوبات الفظيعة، أمّا مَن يفلت من العقاب فقد يتيه في الصحراء ويموت عطشاً وجوعاً، حتى لو نال حريته في ساعاته الأخيرة.

(١) ينظر تعليمات آمر المجموعة الثانية لقوات البدو بتاريخ ٨ مايو ١٩٣٨. AGA, Caja S.3800, exp 2 .

(٢) ينظر تقرير بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٣٨. AGA, Caja S.3803, exp 1, carpeta 10 .

(٣) ينظر تقرير محرر بالعيون بتاريخ ٣ ابريل ١٩٤٤، AGA.Af, Caja 81.13882 .

(٤) ينظر بعض الأمثلة المروعة في (La esclavitud en el Sáhara occidental: 125-126) و (Les Rgyabat, vol.2: 99)

خلاصة:

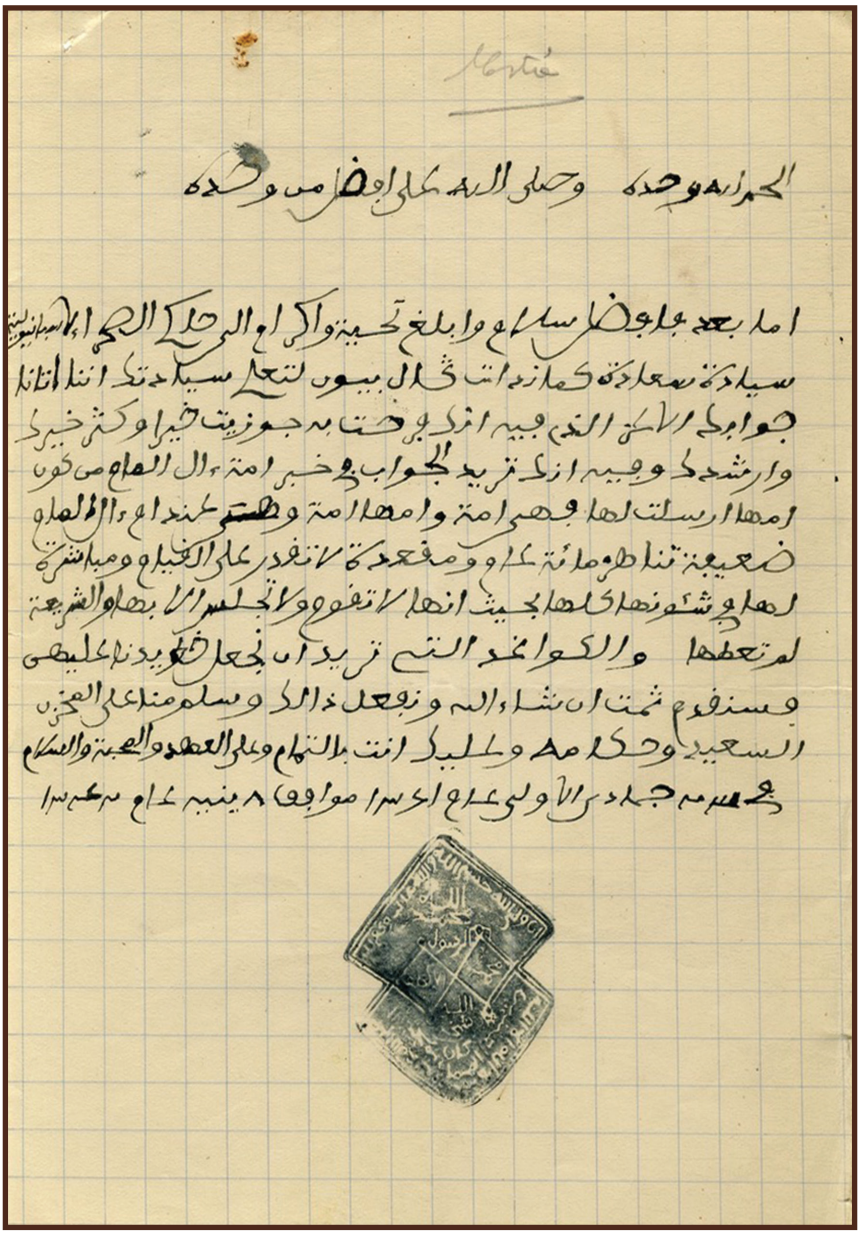
في هذا البحث قدّمنا أمثلة على السياسة المتذبذبة للإدارة الإسبانية في إفني والصحراء تجاه تجارة الرقيق ومؤسسة العبودية نفسها، بين محاولة إنفاذ سياسة إلغاء العبودية وبين براغماتية عدم التسبّب بسخط ملّاك العبيد، وكيف أنّ الإسبان وصلوا في معظم الأحوال إلى التدخل لصالح العبيد بشرط أنْ يتخذ العبد مبادرة قوية من جانبه ليحصل على حريته، أي أنّ سياسة الإسبان التحرّرية تجاه العبيد كانت تعتمد على ردّ الفعل وليس المبادرة من قبل الحكومة الاستعمارية، مثلما أنّ الإسبان قد فشلوا في مَهمتهم في إلغاء العبودية نهائياً من الصحراء، وذلك من خلال سياسة استمالة النخب، وعدم توفير بدائل اقتصادية ومالية لاستيعاب العبيد المحرّرين أو تعويض ملّاكهم، في المقابل رأينا إصرار عددٍ من العبيد رجالاً ونساءً على نزع الحرية لأنفسهم أو أطفالهم والاستفادة من الفرص المحيطة بهم رغم حدود الإمكانيات الجغرافية والاجتماعية والبيئية لهذا.

هذا البحث جزء من مشروع SlaveVoices (أصوات العبيد) بتمويل من المجلس الأوربيّ للبحوث ERC ضمن برنامج Horizon 2020 التابع للاتحاد الأوربيّ (رقم المنحة ٨١٩٣٥٣)، وتمت إدارة هذا المشروع في قسم التاريخ بمعهد العلوم السياسية بباريس SciencesPo تحت إشراف البروفيسور محمد الوالدي.

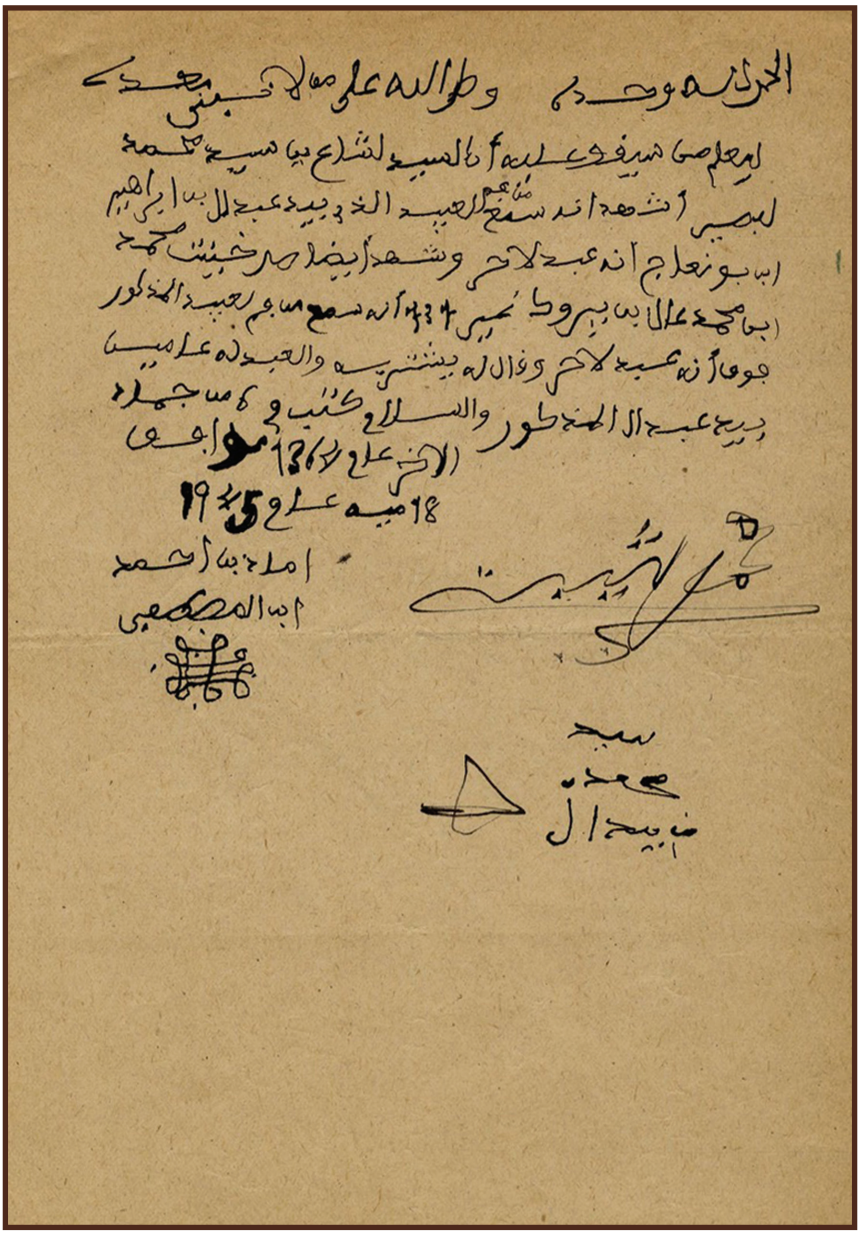
علي عدنان آل طعمة: دكتوراه في التاريخ من جامعة ليدن بهولندا. عمل سابقاً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو بين عامي ٢٠١٧-٢٠١٩. يعمل حالياً بصفه زميل باحث في قسم التاريخ بجامعة أوترخت الهولندية، وعمل بصفة زميل في معهد العلوم السياسية بباريس بين ٢٠٢٠-٢٠٢٢م حين جمع البيانات الخاصة بهذا البحث.

ملحق

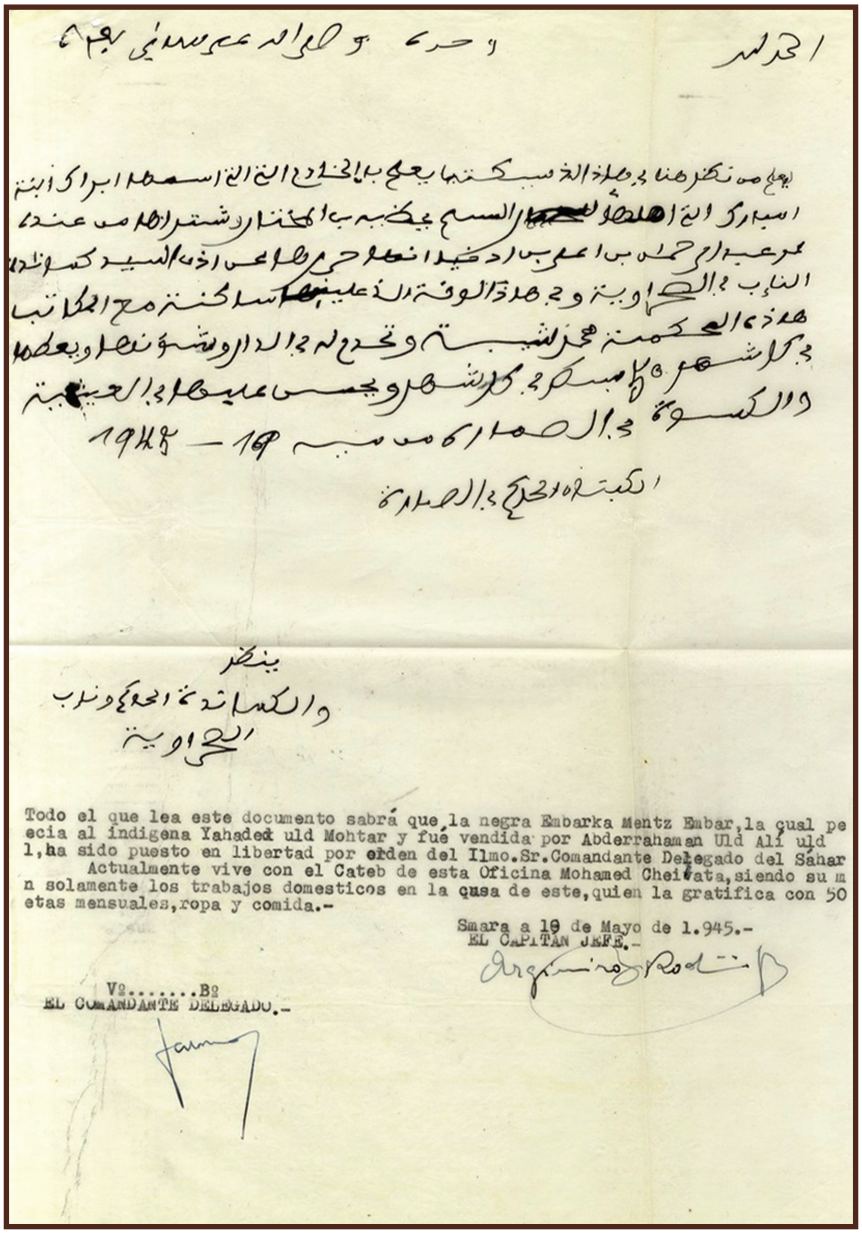
نماذج لوثائق متعلقة بالبحث



الوثيقة رقم ١ : جواب الشيخ الأظف على الكومندار غالو بويون في شأن العبدة حبيبة



الوثيقة رقم ٢: شهادة في شخص غير مُسمى أنه عبد لا حرّ



Todo el que lea este documento sabrá que,la negra Embarka Mentz Embar,la cual pe
ecia al indigena Yahadeb uld Mohtar y fué vendida por Abderrahaman Uld Alí uld
l,ha sido puesto en libertad por orden del Ilmo.Sr.Comandante Delegado del Sáhar
Actualmente vive con el Cateb de esta Oficina Mohamed Cheikata,siendo su m
n solamente los trabajos domesticos en la casa de este,quien la gratifica con 50
etas mensuales,ropa y comida.-

Smara a 10 de Mayo de 1.945.-
EL CAPITAN JEFE.-

V2.....B2
EL COMANDANTE DELEGADO.-

الوثيقة رقم ٣: إعلان من ضابط إسباني في السمارة أنّ العبدة المدعوة امباركه قد عُتقت بأمر من الكومندار مندوب الصحراء وأنها تعيش عند كاتب المحكمة المدعو محمد شيبته وتدير الأعمال المنزلية

المصادر والمراجع

الأرشيفات:

١. أرشيف الإدارة العام الإسبانيّ (Archivo General de la Administración) الواقع في مدينة (Alcalá de Henares) وهو الأرشيف الذي يحتوي على سجلات وزارات وإدارات الدولة الإسبانيّة التي تعود لمنتصف القرن ١٩ فما بعده، فضلاً عن وثائق الإدارة الاستعمارية في المغرب والصحراء، أما وثائق الدولة التي تمتد من منتصف القرن ١٩ فما قبله فهي في الأرشيف التاريخيّ الوطنيّ Archivo) Histórico Nacional) بمدريد.

٢. الأرشيف العسكريّ العام الإسبانيّ (Archivo General Militar) الكائن في مدريد، لكنه ليس الأرشيف العسكريّ العام في إسبانيا حيث توجد أرشيفات عسكرية في مدن إسبانية أخرى.

٣. الأرشيف العسكريّ الفرنسيّ (Sérvice Historique de la Défense) الواقع في قلعة فانسان (Chateau de Vincennes) شرقي باريس وهو الأرشيف العسكريّ الأساسيّ بفرنسا ويحتوي على كثير من وثائق الخاصّة بالإدارات الاستعماريّة الفرنسيّة في أفريقيا والشرق الأوسط فضلاً عن معلومات استخبارية عن مناطق الاستعمار الإسباني في شمال أفريقيا.

٤. الأرشيف الوطنيّ البريطانيّ وزارة الخارجية (Foreign Office) وهو جزء من الأرشيف الوطنيّ البريطانيّ (The National Archives) الكائن في (Kew) بأطراف لندن.

مصادر مطبوعة عربية

٥. جريدة مدريد الرسمية (Gaceta de Madrid) العدد ٨٢ بتاريخ ٢٣ مارس ١٨٧٣م، والعدد ٢٨١ بتاريخ ٨ أكتوبر ١٨٨٦م.

٦. جوانب من ثقافة الصحراء، محمد الظريف، مؤسّسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتنمية، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠١٦م.

٧. دراسات صحراوية، المجتمع والسلطة والدين، رحال بوبريك، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٨م.

٨. الرحلة المعينية، ماء العينين ابن العتيق، تحقيق: محمد الظريف، دار السويديّ، أبو ظبي، ٢٠٠٤م.

٩. الرق في الصحراء دراسة سوسيو- أنثروبولوجية حول منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، محمد دحمان، بحث ضمن كتاب يضم مجموعة بحوث عنوانه: الرق في تاريخ المغرب، تنسيق: عبد العزيز عينوز، وعبد العزيز بل فايدة، ومحمد الغرايب، الصفحات: ١٧٣-١٨١، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، ٢٠١٠م.

١٠. السياسة الاستعمارية بمنطقتي وادي نون والساقية الحمراء ما بين ١٩٣٤م و١٩٧٥م، سعيد توتاي، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ٢٠١٦م.

١١. القبيلة الصحراوية بين الثابت والمتحول دراسة سوسيو – أنثروبوجية حول قبيلة يكْوت، حسن باري، دار الأمان، الرباط، ٢٠٢٢م.

١٢. المجتمع الصحراويّ من عالم الخيمة إلى فضاء المدينة، رحال بوبريك، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٢١م.

مصادر مطبوعة غير عربية:

13. Algo sobre Río de Oro, Ángel Doménech Lafuente, Gobierno Político Militar del África Occidental Española, Madrid, 1946.

14. La abolición de la esclavitud en España. Debates Parlamentarios 1810-1886, Eduardo Galván Rodríguez, Dykinson, Madrid, 2014.

15. Veintidos años en el desierto: Mis memorias y tres expediciones al interior del Sáhara, Francisco Bens, Ediciones del Gobierno de África Occidental Española, Madrid, 1947.

16. Les Rgaybat (1610-1934). Vol.1. Des chameliers a la conquête d'un territoire, Sophie Caratini, L'Harmattan, Paris, 1989.

17. Les Rgaybat. Vol.2. Territorie et Société, Sophie Caratini, L'Harmattan, Paris, 1989.

18. Los Baroja (Memorias familiares), Julio Caro Baroja, Taurus, Madrid, 1978م.

19. Estudios Saharianos, Julio Caro Baroja, Instituto de Estudios Africanos, Madrid, 2008 [1955].

20. La esclavitud en el Sáhara occidental, Pablo-Ignacion de Dalmases, Carena, Barcelona, 2012.

21. "Paradise is Under the Feet of Your Master': The Construction of the Religious Basis of Racial Slavery in the Mauritanian Arab-Berber Community", Khaled Esseissah, Journal of Black Studies 47 (1): 3–23, 2016.

22. Ifni y Sáhara: Una encrucijada en la historia de España, Mariano Fernández-Aceytuno Kindle ed., Simancas Ediciones S.A, Dueñas, 2001.

23. Black Morocco. A History of Slavery, Race and Islam, Chouki El Hamel, Cambridge University Press, Cambrdige, 2014.

24. "Looking for Slavery in Colonial Archives", Martin A. Klein, in: African Voices on Slavery and the Slave Trade. Vol2. Essays on Sources and Methods, edited by Alice Bellagamba, Sandra E. Greene, and Martin A. Klein, 114–131, Cambridge University Press, Cambridge, 2016

25. The Forbidden Coast. The Story of a Journey to Río de Oro, a Spanish Possession in North-West Africa, to Some Adjacent Islands, and to Certain Other Sites in the 28th Degree of Northern Latitude Which are Not, Without Some Measure of Personal Perseverance Open to Uninstructed Members of the General Public, John Lodwick, Cassell, London, 1956.

26. Arenas coloniales: Los Awlad Dalim ante la colonización franco-española del Sáhara, Alberto López Bargados, Bellaletra, Barcelona, 2003.

27. "'Asuntos negros': Las autoridades españolas frente a la esclavitud y el servilismo en los territorios del Sáhara Occidental (1934-1957)", Josep Lluís Mateo Dieste, Historia y política: Ideas, procesos y movimientos sociales (44): 275–304. https://doi.org/10.18042/hp.44.10 , 2020.

28. Relatos del Sáhara español, Ramón Mayarata, (selección y prólogo), Clan, Madrid, 2002

29. “Voix d’esclaves”, M’hamed Oualdi, in: Les mondes de l’esclavage. Une histoire comparée, edited by Paulin Ismard, Benedetta Rossi, and Cécile Vidal, 785-796, Seuil, Paris, 2021.

30. Stories of the Sahara, Sanmao, Translated by Mike Fu, Bloomsbury, London, 2019

31. Guns, Culture and Moors: Racial Perceptions, Cultural Impact and the Moroccan Participation in the Spanish Civil War (1936-1939), Ali Al Tuma, Routledge, London, 2018

32. El Sahara y el hamitismo norteafricano: Estudios antropo-históricos sahárico-magrebíes, Juan B. Vilar Instituto de Estudios Africanos

Criticism of Heritage works

413	A Review of the New Edition of Qiṭ ʿa min Kitāb al-futūḥ, by Ibn A ʿtham al-Kūfī, Based on a Manuscript from the Fifth Century AH	By: Mónika Schönléber Institute of Ibn Sina for Middle Eastern Studies (Piliscsaba / Budapest, Hungary) Translated by: Habib Zaatar

Manuscripts Indexes and bibliographies of publications

433	A Bibliography of Verified Texts in Theses and Dissertations in Iraqi Universities from 1966 CE to 2025 CE Part Second	Ali Adday Al-Hasnawi Shaykh al-Ansari Center subordinate to the Supreme Authority for Heritage Revival the Iraq
501	The Remaining Library of Sayyid al-Husayn Al Bahr al-Ulum: An Introduction to the Library and Its Owner	Muhammad Jassim al-Mousawi Center for Manuscript Photography and Cataloging the Holy al-Abbas Shrine Iraq

Heritage News

583	From Heritage News	Prepared By Editorial Board

221	A Codicological Study of the Manuscript of Imam Malik's Mudawwana Written on Parchment (The Quires of the Manuscript as a Case Study)	Dr. Ahmed Attia Senior Researcher, Manuscripts Center Bibliotheca Alexandrina Egypt
267	Sayyid Hadi Muhammad Mahdi Al Tuma: His Works in the Service of Islamic Heritage (1323–1396 AH / 1905–1976AD)	Dr. Salman Hadi Al Tuma Heritage Researcher Iraq
15	The Sound Methodology for Verifying the Attribution of Hadith and Biographical Books	By: Al-Shaykh Ibrahim Jawad Translated by: Al-Shaykh Habib Zaatar Islamic Seminary – Holy Qom Iran

Reviewed texts

299	The Utmost Honour Concerning the Virtues of Kufa and Najaf Two Urjuzas [Rhymed Poems]: (Durrat al-Sadaf fi Fadail al-Najaf and Al-Jawahir al-Masfufah fi Fadail al-Kufah) Composed by: Dr. Hussein Ali Mahfouz	Edited by Miqdam Ratib al-Mufarji Al-Wafi Foundation for Documentation and Studies subordinate Iraq
349	From the Scholarly Ijazat [Permits] of Sayyid Muhammad Ibrahim ibn Dildar Ali al-Naqawi al-Lakhnawi (d. 1307 AH)	Critical Edition by: Sayyid Maytham Mahdi al-Khatib Shaykh al-Ansari Center subordinate to the Supreme Authority for Heritage Revival Iraq

Content

Heritage studies

21	The Image of Amir al-Muminin Ali (peace be upon him) in the Book Al-Fihrist by Muhammad ibn Ishaq al-Nadim	Dr.Mahdi Mojtahedi Assistant Professor in the History and Civilization of Muslim Societies, Ferdowsi University of Mashhad Leyli Abdi Ph.D. Candidate in the History and Civilization of Muslim Societies, Ferdowsi University of Mashhad Iran
49	The Book Ithbat al-Rajah by al-Fadl ibn Shadhan (d. 260 AH) A Treatise on the Authenticity of the Reports Attributed to the Lost Book Ithbat al-Rajah by al-Fadl ibn Shadhan	hasan Yusuf ibn Nukh The Islamic Seminary in Holy Najaf Iraq
139	Slaves in the Spanish Sahara: A Documentary Perspective	Dr. Ali Adnan Al Tuma Utrecht University Netherlands
193	Andalusian Poetic Inscriptions in the Alhambra Palaces of Granada, Spain By: Dr. Murtada Kamal Hurayjah	Review by Dr. Sabih Sadiq Autonomous University of Madrid Spain

lowing regulations:

1. The researcher or reviewer will be informed of delivering the posted material to be published within a period may not exceed the maximum of two weeks.
2. The researchers should be reminded of the publication acceptance of the editorial board within a period may not exceed the maximum of two months.
3. The pieces of research, whose evaluators realize that it should be amended or be added to, will be returned to their writers in order to be organized accurately before publication.
4. The researchers will be informed if their pieces of research are rejected without mentioning the reasons of rejection.
5. Every researcher will be given one copy of the issue in which his research is published, with three separate pieces of research from the same published material and a reward, as well.

- **The journal considers the following priorities in publication:**

1. The date of receiving the research by the editor-in-chief.
2. The date of presenting the revised pieces of research.
3. The variety of the research materials as far as possible.

- The published pieces of research express the opinions of their writers and do not necessarily reflect the opinions of the journal.
- The pieces of research are arranged according to the technical considerations which have nothing to do with the status of the researcher.
- The reviewer or the researcher who is not known for the journal has to send on the journal email, a brief biographical note, his address and email, for the introductory and documentary purposes on the following email: ***Kh@hrc.iq***
- Editorial board reserves the right to make the required amendments upon the approved pieces of research for publication.
- The board of editors will chose distinguished researches published in the magazine, and vows to republish them separately.

The Publishing Terms

- The journal should publish the scientific pieces of research that are related to the manuscripts and documents, reviewed texts, direct studies, and objective critical follow-ups which are related to it.
- The researcher should commit himself with the requisites of the scientific research and its rules in order to get benefit from its sources, and be within the frame of the Researchers 'style during discussion and criticism. Otherwise, the examined research or the text will contain certain topics that attempt to raise the feeling of sectarianism or even sensitivity towards any belief, ideology, or sect.
- The research should not be published previously or presented to other means of publication. The researcher is responsible for doing an independent commitment.
- The font should be in (Simplified Arabic). The texts printing size should be (16), and the margines printing size should be (12), and the pages number should not be less than (20).
- The reviewed research or text should be printed on the (A4) type of paper in one copy with a CD. The pages should be numbered successively.
- The research should be presented with its Arabic and English abstracts, each in a separate paper including the title of the research.
- The familiar scientific principles, documentation and references should be taken into account. The documentation should include the name of the source, the number of the part and the page
- The research should be presented with a separate list of references including the title of the source, the name of the author, the name of the investigator or the interpreter if s/he is available, the publishing country name, the place of publication and finally the date of publication. The name of the books and pieces of research should be arranged alphabetically. And if there are foreign references, they should be added separately, i.e. not within the Arabic references
- Researches shall be subject to the scientific deduction program and to a confidential assessment of its validity for publication, and shall not be returned to its owners, whether accepted for publication or not, according to the fol-

Prof. Dr. Waleed M. Al- Seraakbi (Syria)

Collage of Arts – Hama University

Dr. Abbas Hani Al- Grakh (Iraq)

Ministry of Education – Babylon Directorate of Education

Dr. Ali Fareg Al- Ameri (Italy)

Ambrosiana Library / Milano

Collage of Sociology – University of Milano Bicocca

Advisory board

Prof. Dr. Tarek Abed Aoun Al Janabi (Iraq)

College of Education - Al-Mustansiriya University

Prof. Nebeela Abd Al- Muna>m (Iraq)

Arab Scientific Heritage Revival Centre – Baghdad University

Prof. Dr. Ahmed Shawky Benbin (Morocco)

Director of Al-Hassania Library at the Royal Palace in Rabat

Dr. Saeed Abd Al- Hammeed (Egypt)

Director General of Restoring Museums of Antiquities– Ministry of Egyptian Antiquities

Prof. Dr. Fadhil Al- Beyaat (Turkey)

The Research Centre for Islamic History, Art and Culture

Prof. Dr. Munther A. Al Muntheri (Iraq)

Collage of Arts – Baghdad University

The general supervision

His Eminence Sayid Ahmed Al- Saafi

Editor-in-chief

Sayid Layth Al- Musawi

Managing editor

Mohammad Al-Wakeel

Sub editor

Dr. Husayn Al-Sheibaani

Editorial board

Dr. Ali Habeeb Al- Aedaani

Dr. Ammer Mahmoud AL-Kaabi

Dr. Mehdi Mojtahedi

Hasan Arebi Al-Khalidi

Art Director

Ali Hussien Alwan ALtamimi

English Translation

Habib AL Zaatar\ Lebanon

Al- Abbas Holy Shrine
The High Commission for Heritage Revival
the Al-Sheikh Al-Ansari Center for Studies and Research

Al-Abbas Holy Shrine. The High Commission for Heritage Revival. the Al-Sheikh Al-Ansari Center for Studies and Research.

AL-Khizanah : A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts and Documents \ Issued by the Al-Sheikh Al-Ansari Center for Studies and Research.- Karbala, Iraq : Abbas Holy Shrine, The High Commission for Heritage Revival, the Al-Sheikh Al-Ansari Center for Studies and Research, 1438 hijri = 2017-

Volume : Illustrations ; 24 cm

Semi-Annual.- The Nineteenth Issue, The Tenth Year, August 2026-

Includes Bibliographies.

Text in Arabic abstract in Arabic and English.

ISSN : 4586 - 2521

1. Manuscripts --Periodicals 2. Periodicals Arabic -- Iraq. A. title.

LCC : Z115.1 .A8378 2026 NO. 20

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine

You can contact or communicate with the journal via:

00964 7813004363

To explore the issues of Al-Khizana Journal and stay updated with its latest publications, please scan the QR code below.

ISSN : 4586 - 2521

Consignment Number in the Housebook and Iraqi Documents: 2245, 2017

Iraq- Holy Karbala

Post-Office: Holy Karbala P.o (233)

Sale Price

Inside Iraq: 10$ - Outside Iraq: 15$



Al- Abbas Holy Shrine
The High Commission
for Heritage Revival

Al-Khizanah

A Half Annual Scientific Journal
which is Concerned with Manu-
scripts Heritage and Documents

Issued by

the Al-Sheikh Al-Ansari Center for
Studies and Research

Issue No. Twentieth, Tenth Year,
Safar 1448 AH / August 2026 AD


In the Name
of Allah the
Compassionate
the Merciful

PRINT ISSN : 2521 - 4586

Al-Khizanah

A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts Heritage and Documents

Issued by

the Al-Sheikh Al-Ansari Center for Studies and Research

Issue No. Twentieth, Tenth Year,
Safar 1448 AH / August 2026 AD

for contact:
mob: 00964 7813004363
web: kh.hrc.iq
email: kh@hrc.iq